عبدالرحمن أبو المكارم

# المخالب الزرقاء

مجموعة قصصية

المكتبة العربية للنشر والتوزيع

# المخالب الزرقاء

| | |
|---|---|
| اسم الكتاب: | المخالب الزرقاء |
| اسم الكاتب: | عبدالرحمن أبوالمكارم |
| تصميم الغلاف: | فريق شغف |
| الإخراج الفنيّ: | جمال عبدالرحيم |
| الطبعة: | الأولى |
| رقم الإيداع: | 2024 / 3842 |
| الترقيم الدولي: | 978-977-8973-72-3 |

| | |
|---|---|
| Gmail | almaktaba79@gmail.com |
| facebook | Facebook.com/almaktaba79 |
| | 01030365801 - 01014977934 |



جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# المخالب الزرقاء

مجموعة قصصية

عبد الرحمن أبو المكارم

للنشر والتوزيع
Arabic Library

# الإهداء

إهداء إلى،...

النسيان،...

صدقًا، كنت أفكر في إهداء تلك النسخة المختزلة من وجداني إلى الواقع، الخارج عن بواطنه أنا، فسللت السيوف في وجهه، مبصرًا أغلب الأنام هائمين في دواخله، الماثلة أمامي واضحةً، عاريةً تمامًا، قاتمةً، لكني وجدتك أحق، فأنت الأوضع، الواقع لا يسلب ذكرى غريمه من الأذهان، أما أنت فتفعل، يا خوفي الأعظم، يا رعبي الأعتى، قررت محاربتك، سأكتب، سأتمرد على قمعك، لذا أهديك هذه، لأحطم القضبان بها، ولأصيبك بسهام الاندثار، لن تسلبهم ذكراي، أو سيرتي، أو اسمي، بعد موتي، أو حتى قبله، أكتب لك هذا الإهداء وأنا استمع للأغنية المهابة في فؤادي كلماتها، *"زوروني كل سنة مرة...حرام تنسوني بالمرة"* ، أعيد تشغيلها التارة بعد الأخرى، إلى اللانهاية، إلى أبد حياتي وموتي...

# مسجد أسود اللون

"حي على الصلاة
أشهد أن لا إله إلا الله
الله أكبر
حي على الفلاح
أشهد أن محمدًا رسول الله"

يرفرف صوت الأذان في المسجد، لا أنكر وجود نشاز واضح به، وفيه أمر مريب، وكأن ترتيب جمله قد تغير!!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...

استغفر الله العلي الجليل...

صحيح شيطان ابن كلب يشتت المرء عن العبادة، أخرج آدم وحواء من الجنة، ويريد إخراجي من جنة هذا الأذان العظيم جميل الصوت حتى لو به بعض الغرابة اليوم!!...علت الأصوات المستعيذة من الشيطان والمستغفرة، يبدو سريان تلك الوسوسة في أفئدتنا جميعًا...

جذب انتباهنا ذاك الإمام الجديد، أسود اللون، منحني الظهر قليلاً، شديد النحافة، ملامحه غير واضحة تكاد تكون مخفية، له

لحية شعثاء طويلة تصل إلى قدميه المتسختين، أجزم برؤيتي بعض الحشرات والغائط يتساقط منها، يرتدي جلبابًا تظهر عليه الفخامة، لا يليق برجل دميم مثله، رجل يوم وصوله قريتنا سعى فيها يدعو الناس للزهد والتقشف، تناقلت بعض الألسنة في القرية بدء تحول لون المسجد إلى الأسود القاتم بعد وصوله إليها، حتى قبل إمامة صلاة واحدة به، فهذه أول صلاة سيؤمها فيه...

اتجه الإمام إلى الناحية المقابلة للقِبلة، وخلفه رجلين ضخما البنيان، يشبهان بعضهما إلى حد كبير، يحمل أحدهما سوطًا والآخر أغلالاً، ووقفا عكسه، هو ينظر أمامه، حيث الجهة المعاكسة للقِبلة، وهما ينظران للمصلين، وأخذ يقيم الصلاة، والتعجب يسيطر بسلطانه على تفكيري، وجعلت أتساءل، في نفسي، عن سبب بدء الإمام الإقامة عند القِبلة الخاطئة، وعن سبب حمل رجلين لسوط وأغلال في مسجد، آثرت الصمت علي أجد مع توالي الأحداث سببًا لكل هذا، لكن غيري لم يترك له التعجب سبيلاً للصمت، فنادى شاب بأعلى صوته:

- أيها الإمام، هذه ليست القِبلة...

دون الاكتراث لندائه، أكمل الإمام إقامة الصلاة، بينما علت أصوات دبيب قدمي حامل الأغلال مسرعًا نحوه، والغضب بيِّن على وجهه، كبله، ساقه إلى ذي السوط، وهوى السوط على جسد الشاب التارة تلو الأخرى، دون رحمة، والدماء تسيل منه كفروعٍ

شقت طريقها من نهر جسده، ولا يزال السوط يُنزل أشد عذابه عليه، حتى خر قتيلاً على أرض المسجد دون صرخة واحدة...

طافت أشباح الخوف أمام أعيننا، تعقد ألسنتنا، وتبني أسوارًا وقضبانًا حول عقولنا، وتقبض على قلوبنا بقبضة إله صلبة، شديدة، مرعبة، قبضة في منتصفها سيفٌ حاد، يُغرَز أكثر فأكثر كلما اشتدت القبضة، فتتزلزل قلوبنا، ويَصعُب عليها النبض، فالخوف إله جبار، إذا تجلى لعبيده جعلهم عاجزين، خاضعين لخالقه، فرغم جبروته كإله، هو، دائمًا، في حاجة إلى موجد له، إلى خالق له في نفوسهم!!

"أنا أكبر"

كبر الإمام هكذا، ولم يمتلك أحد منا الجرأة لينطق بعد الهول المرئي، فبدأنا معه الصلاة، عدا الرجلين التابعين له...

لم يقرأ ذاك الإمام سورة الفاتحة، اكتفى فقط بقول :

"إن مع اليسر عسرًا. فإن مع اليسر عسرًا"

واحد فقط منا وُجِدت لديه الشجاعة ليصيح في المسجد معترضًا، فيما يبدو الإله الخوف أضعف منه، أعتقد لكونه شيخ كفيف، لم ير الحادث، لم ير سيول الدماء جارية في المسجد، لم ير نظرة المعاناة في عيني الشاب تضفي على قلوبنا خوفًا وشفقةً وحزنًا، ويبدو عدم انتباهه لصوت السوط الهاوي على جسده، فقد جلس

متربعًا على أرض المسجد يقرأ القرآن واضعًا يديه على أذنيه حتى لا يسمع صوتًا يبدد تركيزه خلال قراءته في تلك الأثناء:

- أنت، أوقف الصلاة، أنت تصلي بشكل خاطئ، وتخترع في كلام ربنا، مَن جعلك إمامًا ؟!

"أنا أكبر"

أكمل الإمام الصلاة، فركع، وكأنه لم يستمع لصيحات الكفيف، واندفع حامل الأغلال نحوه بخطوات ظهر من سرعتها مدى غيظه، كبله، وجميعنا مطأطأي الرأس لا نجسر على رفعها، فقط استطعنا رؤية الكفيف مكبل يُسحل على أرض المسجد وجهه يتخبط بها، ورأينا قطرات الدم تسيل من وجهه مترامية على الأرض تُنديها، وأُلقي أمام ذي السوط، فسمعنا سوطه يهوى على الكفيف، وصوته يقول بحنق:

- ترى نفسك أفقه من مولانا العظيم يا ابن البهيمة...

جميعنا مطأطأي الرأس لا نجسر على رفعها، حتى لرؤية الشجاع الوحيد فينا في آخر لحظاته، فقط عَبراتنا الساقطة على أرض المسجد في صمت جَسُرت على ذلك، سمعنا صوت السوط يهوى عليه مرة أخرى والرجل يقول بنفس الحنق:

- أنت تُعقب على مولانا يا كافر...

بعد هذه الجملة لم نسمع سوى صوتين، صوت السوط يكمل إنزال عذابه على الكفيف، وصوت آهاته وأنينه محاولاً كتمهما، فبالكاد سُمعت دالةً على أعتى الآلام، وأدركنا، بعد توقفهما، دون رفع أعيننا، سقوطه قتيلاً مثل الشاب، وسالت دماؤه إلى جانب دمائه، وامتزج فرعا الدماء مع بعضهما خلال بحثهما عن مصب...

دون السجود، قام ذاك الإمام للركعة الثانية، وجميعنا خلفه ممتثلين لأفعاله الغريبة، لماذا حقًّا نحن كذلك؟!! ألهذا الحد ذاك الكفيف أشجع منا؟!! مَن تفوه بعدم سماعه شئ أثناء تعذيب الشاب؟!! كلها محض افتراضاتي، لربما استمع وانتظر، فمن الممكن ظنها هلاوس الشيخوخة، فكيف في ذهنه تكون غير هلاوس والمصلين واقفين لا يقدمون على فعلٍ؟!! عندما صارت الهلاوس له أقرب للواقع السخيف، للحقيقة الحقيرة، قرر مواجهتها، فعُذب كعذاب الأنبياء، هل يا ترى ثابر الأنبياء مثله لكبت آهاتهم وأنينهم، أو حتى لم يصرخوا كالشاب؟؟ شرعت أثق في صياحه للمواجهة، كما صاح الشاب لتصحيح خطأ الإمام، وليس كما تراءى لي في البداية بسبب جهله بالحادث، وإلا فلماذا حاول كتم كل دال على تألم؟؟ هذه شيمة مواجهٍ وليس جاهل بمعركته...

أحس بعقلي يحطم الأسوار والقضبان من حوله، يريد محاربة الإله الخوف وخالقيه، أخذ يحطمها بأسئلة عدة، بتأمل الجاري مذ بداية هذه الصلاة، بالتفكر في الصلاة الحقيقية الأصيلة الأصلية،

قلبي يحاول النبض بالأقصى، ليحرر نفسه من القبضة، لينزع السيف من بواطنه، لا أود العيش ساذجًا حقيرًا ذليلاً في هذه الصلاة والتالي لها من صلوات، أروم للصلاة بحق...

رفعت رأسي المطأطأة، استدرت ناحية القِبلة الصحيحة، وسجدت، ثم قمت للركعة الثانية، أعي تعجب سائر المصلين من فعلتي، وربما يتخيلون تراهات عن شجاعتي، كما فعلت أنا، مسبقًا، مع تعجبي من الكفيف...

لاحظني حامل الأغلال، إنْصَبَ نحوي، كبلني، شدني على الأرض شدًّا، الجميع لا يجسر على رفع رأسه لرؤية مقتل سيُرتَكَب، لمحاولة منعه بأي طريقة، يصرخ حامل الأغلال فيَّ مستشيطًا:

- أنتَ يا ابن الوسخة تخالف صلاة مولانا، تخالف دين مولانا، سنريك عذابنا قبل رؤيتك عذاب الآخرة...

لن أسكت، لن أصمت، على أي حال أنا مقتولٌ لا محالة، إذن فلأمت، فلأُقتل، وليحيا صوتي، ليحلق في أنحاء المسجد، ويخترقها إلى عنان السماوات :

- ليس لي شئ في دينكم هذا، ديني سلام، ديني حب، ديني حرية، ديني برحابة السماء...
- رحابة السماء..؟!! يا مسكين، أنت مجنون..لا تجعل سوطك يقتله، مخبول هو، فقط أجعل سوطك يرد له عقله...

يلقي بي أمام ذي السوط، فيهوى سوطه على صدري، فينقطع جلبابي في هذا الموضع من الشدة، وخط دمٍ يتفجر فيه على شكل نهرٍ من أنهار الجنة، أعلم شكلها، أو بالأحرى أُحس بها، أشعر كأن آلاف البشر يهرولون على صفحة النهر، أشعر بدبيب قدم كلٍّ منهم، أتوجع، لكن أحبس آهاتي وأنيني، فقط صوت ضعيف يُسمع مني، أرد محاولاً استجماع قوتي، والسوط يهوى عليَّ مرة أخرى :

- نعم، رحابة السماء، إن لم يكن الدين برحابة السماء فلا شأن لي به..كدينكم هذا...

يهوى السوط عليَّ وصاحبه يزعق فيَّ:

- إما تعترف بعدم وعيك أقوالك تلك، أو لن أنفذ كلامه، وسأقتلك بسوطي...
- تريد مني التراجع عما قولت، لا وألف لا...

لا أدري من أين وُهبت هذه القوة المساعدة لي في الصياح، بأعلى صوت سمعه بشر من قبل، والتكرار:

- الدين برحابة السماء، الدين برحابة السماء، الدين برحابة السماء...

ظللت أكررها و السوط يهوى عليَّ، أشعر بالألم يتلاشى رويدًا رويدًا، ولا أبصر إلا نورًا وهاجًا، فأغمض عينيَّ...

*****

أفتح عينيَّ...

كم أبيضت الدنيا بعد قتامة!

أنظر حولي، ها هو الشيخ الكفيف، الغادي فيما بدا لي مبصرًا، والشاب، يفتحان لي ذراعهما، أركض لحضنهما، أثناء ذلك وقع ناظري لما تحتنا، فإذا به المسجد، وأشباه المصلين به خائفين، والإمام ورجليه، وجثتي ترقد بالقرب من الجثتين الأُخريتين، وفروع دمائي تنضم لفروع دمائهما للبحث عن مصب، وصوتي ما زال من المسجد، يُسمع ولا يندثر، أرفع وجهي، أنظر لهما متعجبًا، عيناهما تطالباني بالانتظار، وتبثان في نفسي السكينة...

استمرت الصلاة على نفس نحوها الخاطئ إلى انتهائها، فأغلق الرجلان باب المسجد، لم يدعا أحدًا يخرج، سجنوهم بالداخل، في السواد القاتم، ونحن نراهم من عَلي...

مرت سنون عليهم، على هذا الحال، يُصلى بهم بنفس الطريقة الخاطئة، وفي أحيان غير أحيان الصلوات، ودماؤنا لم تجف أبدًا، جثثنا تحللت وحسب، صارت ترابًا، إلا عقولنا، بقيت حية، خالدة طوال هذه السنين، مع صوتي، لم تتحلل، شعيرات الدم بها فيها نبض، بلا قلب يدفعه، وأتضح امتصاصها رائحة العطن بين ثناياها وطياتها...

الإمام ورجلاه ظلوا في قلق دائم من هذه العقول، حاولوا التخلص منها، ليكون هذا آية لكل معترض أثيم، راموا للتخلص من آثارنا ككافرين، بالنسبة لهم، على حذو محاولة التخلص من النبي التنويري إبراهيم، فأشعلوا نيرانًا حطبها مصاحف المسجد، في عقولنا، اضطربتُ، هذه آخر بقايانا، إذا مُحيت مُحينا للعدم، للنسيان، والشاب شاركني مخاوفي، لكن نظرة حانية مستريحة من الشيخ بعينيه الجديدتين، وكفيه الموضعتان بعدها على كتفينا، طمأنتنا، وكأنه شاهد المستقبل، فإذا بهم لم يحترقوا، خمدت النيران، وااحياة لا تزال تدب فيهم، لم يتضرروا، روح إبراهيم اكتنفتهم، بُهت الإمام ورجلاه، وجعل أشباه المصلين يتفكرون فيما حدث أمامهم، فزاد من قلقهم، الآخذ في الاستحالة خوفًا، شُهرت الأغلال والسوط كما تُشهر السيوف في الحروب، اشتدت عليهم، لكنها لم تقتل منهم، هم فقط تفكروا، لم يواجهوا بعد، إذن فالتهديد أنسب لهم...

فكروا في الإلقاء بعقولنا خارج حدود المسجد، كي ينتهوا من هذا القلق بلا جلبة كالمحاولة السابقة، لم أقلق هذه المرة، والشاب أيضًا، آمنا باستحالة فناء هذه العقول، هي روح أخرى للأجساد، وهي الخلود، فتح ذي السوط باب المسجد، مانعًا أي أحد من الخروج، بينما حاول حامل الأغلال رفع الثلاثة عقول، لكنه فُجئ

بأرض المسجد تتجوف حولهم، كتجويفة الكون في كف الله، وتتشبث بهم، وهذا الجزء من الأرض يتحول إلى البياض الناصع!

أدرك، لحظتها، المصلين بالمسجد، إيماننا، الجسد فانٍ، والعقل إله، هو الوحيد القادر على هزيمة إله آخر، كالإله الخوف، قام المصلون وقتئذ، انقضوا بداية على ذي السوط، لا يرغبون في غلق الأبواب مجددًا، حاول إبعادهم بسوطه، لكن بعض الإصابات لن تمنعهم من نيل الحرية، دفعوه للخارج، وقبل فعل أي شئ آخر، كان السوط قد طار من تلقاء نفسه، أمام الأعين المذهولة، وهوى على صاحبه، المرة بعد الأخرى، وقُتل القاتل بنفس أسلوب قتله...

تيقن الآخرينِ من أزوف نهايتهم، الفرحة غاصت بنا في بحارها ونحن نتطلع للأمور الجارية، توجه المصلون ناحيتهما، طوحوا بهما إلى الخارج، الأغلال، كالسوط، طارت، كبلت حاملها، لم يستطع مقاومتها، أشتد التكبيل، الدماء تقطر منه، وسُحل على الأرض المقابلة للمسجد، فاندفعت الدماء خارج جسده، وجلده يتقطع من حصى الأرض، الساخنة من حرارة الشمس القائظة، قُتل، بسلاحه، أما الإمام فتلفت حول نفسه، رأى جثتي رجليه، وأبصر السوط والأغلال يطيران صوبه، نظر إلى الشمس القائظة، اشتعلت به النيران، الآخذة في التهامه، كما التهمت المصاحف لحرق عقولنا، لكنه لم يكن مثلها، فهو احترق، أكلته النيران، ولم تُبقي منه سوى رمادٍ تطاير في القرية، حتى التلاشي، والأغلال

والسوط، وقعا على الأرض، وطفقا في التحلل، لكن بشكل سريع للغاية، أضحوا ترابًا في دقائق، وعطنهم ملأ القرية، وانقشع بعد أيام،

كل هذا حدث أمام دهشة كبيرة...

خرج المصلون من المسجد، مهللين، سعداء، طارت العقول خارجه، بعد تحول لونه كاملاً إلى الأبيض الناصع، وحلقت إلى السماء، لتطوف حول القرية...

نفسي ارتاحت، كذلك الشيخ والشاب، وغبطنا، حتى لو كنا أرواحًا بلا أجساد، فالسعادة، في الأصل، تداعب الروح، بالرغم من تشيد بعض أشباه المصلين، بعد مدة وجيزة من تحررهم، أضرحة للإمام والرجلين، وأغلبهم بات يدعو ويتبرك بها!! فهناك قلة من المصلين صامدين في مواجهتهم، ونحن نراهم من فوق المسجد، والعقول تطوف حول القرية، وحول المسجد...

# مسرحية تنتظر تحريرها

خلقت لهم مسرحًا، وجعلت منهم الجماهير والممثلين، فإذا بهم يشاهدون دمار المسرح دون حراك حقيقي، أنا الله آمرهم بصون مسرحهم، بالدفاع عن المقهورين بالمبثوث فيهم من وجداننا، فإذا هم كالنمل يُدعَسون...

عج المسرح بالجماهير المتلهفة، امتلئت الصفوف الأولى بأناس أنصاف أجسادهم السفلى عارية!! واضعين أكوامًا من الكتب بين أفخاذهم، الرجال منهم يضعونها على خُصيهم وقضبانهم البارزة، أما النساء منهم فقِبالة فُرُوجهن كان الموضع الأنسب، ولكنهم مرتدين بذلات أنيقة فخمة، كما شارك أنصاف العراة هؤلاء أناس عراة تمامًا، يشعرون براحة شاسعة على مقاعدهم، الواحد منهم يجلس على مقعدٍ ويبسط رجليه على مقعدٍ آخر أمامه، أما في الصفوف الأخيرة، فوُجِد بها أناس يربطون العديد من الكتب فوق رؤوسهم، ويلفون أجسادهم بثياب مصنوعة من...ورق الكتب متناثرة عليه الكلمات...

أنزلنا الصمت على مسرحنا...

ينفتح ستار المسرح ببطئ...

تبدأ المسرحية بأرض طيبة، عاش أهلها، رغم الصعاب، بسلام...

من كل صوب في المسرح، فجأة، اقتحم إرهابيون مسلحون خشبته، أوجدهم شيطان العدم، اشتركوا جميعهم في ارتداء الكيبوت على رؤوسهم مائلة إلى الوراء قليلاً، يظنون أنفسهم يوقروننا بارتدائها، وكيف يوقرون وهم سيَقتلون؟! أفلا يعقلون؟! أخذت الريبة تتسرب إلى نفوس الجماهير العريضة، وتساءلوا عن كون هذا ضمن أحداث المسرحية، وصدمهم الرد مع أول ممثل غرق على الأرض في دمائه، وتتالت من بعده الجثث، والدماء الباردة تتوغل في أعماق الخشبة، بعضهم استطاع الفرار إلى غرف تغيير الملابس، لا يوجد بها زاد ولا ماء، لا يصلح فيها اللجوء لحياة آدمية، بينما آخرون بقوا على خشبة المسرح، تحت تهديد السلاح، و في أي آن يُقتل أحدهم بسبب وبدون...

هاجت الجماهير وماجت، كأمواج البحر الثائرة، كغيوم السماء الملبدة، يصرخون بأعلى أصواتهم لأجل الممثلين وخشبة المسرح، فكل مدة كان يصعد عدد من الجماهير إلى خشبة المسرح، بذلوا أقصى قدرة آتيناهم إياها، يقاتلون ويَقتلون ويُقتلون، وما ماتوا، بل أحياء عندنا، لكن دائمًا يتقهقر الباقيين منهم على قيد الحياة مطأطأي الرأس، تسترهم عباءة الهزيمة، لكن حاولوا وثابروا، ظلوا هكذا إلى مجيئ نكستهم المخزية...

شرع عدد من الإرهابيين ينقضون على مقاعد الجماهير، يسلبونها منهم، ويختطفون البذلات الفخمة من أنصاف العراة، ولكنهم لم يستطيعوا خلع ثياب جماهير الصفوف الأخيرة عنهم، فكانت شبه ملتحمة مع جلودهم ولحمهم، كأنها معهم كيان واحد، فقط اغتصبوا مقاعدهم كجماهير الصفوف الأولى، وأعلن الإرهابيون كون هذا عقاب محاولي الاقتراب من حقهم في خشبة المسرح!!

لكن لم تكن هذه نكستهم، أو بالأحرى نكسة الصفوف الأولى...

بعد توالي تسع وعشرين ساعة على هذه المسرحية، الهزلية، المؤلمة، صعد أحد كاملي العري إلى خشبة المسرح، وضع يده في أيدي الإرهابيين طالبًا السلام، ونحن أعلم بنفوس خلقنا، فقد اشتاقوا للمقاعد المنتزعة منهم، كما ابتغى أنصاف العراة بذلاتهم الأنيقة، فهرع كل جماهير الصفوف الأولى للسجود أمامهم، وتقبيل أياديهم وأقدامهم، وكانوا يضعون أياديهم في أيادي المسلحين بعد التوقيع على تنازل عن انتمائهم لخشبة المسرح مقابل المقاعد والبذلات، غير آبهين للممثلين، ونحن نفخنا فيهم من رحمة روحنا، فما صاروا رحماء بهم، ولا مبالين بتعزيزي لهم وخلقي مسرحًا لأجلهم جميعًا، فباعوا انتماءهم بثمن بخس، مقاعد وبذلات!!

فكانت نكسة الصفوف الأولى...

وفي ظل هذا العبث، جماهير الصفوف الأخيرة لا يزالون يصرخون وينادون، في البداية تجاهلتهم الصفوف الأولى، ثم أخذوا في الضحك والسخرية منهم، وجعل بعضهم يلقبهم بالمتعصبين مرةً، وبالجهلاء تارةً، وبالرجعيين حينًا، والبعض الآخر يرد عليهم مدعيًا كون أفعالهم لصالح خشبة المسرح والممثلين، ثم منعوا عنهم أضواء المسرح الخافتة، ليبقوهم في ظلام، هم لا يفقهون، فالضياء دائمًا قاشعة الظلام، فرغم كل أمر وكل تضييق استمرت الصفوف الأخيرة في الصراخ والنداء، بلا أي شئ سوى الكتب المربوطة فوق رؤوسهم وثيابهم المصنوعة من ورق الكتب...

الصرخة تلي الصرخة...

والنداء يلي النداء...

والانتفاضة تلي الانتفاضة...

بلا سأم...بلا توقف...بلا خوف...بلا طمع...

منذ بداية اقتحام الإرهابيين لخشبة المسرح وعلى مدار قرابة الست وسبعين ساعة...

طارت الساعات والساعات في سماء المسرح، والنداءات والهتافات والصرخات المناضلة كذلك، تتجمع متجسدة في أسراب، كأسراب النسور، محلقة في أنحاء المسرح، كلما زادت الساعات، زادت الهتافات، وزادت الأسراب، ظلت هكذا حتى

آضت الأسراب تحجب سقف المسرح بأكمله، رادعة الأضواء الخافتة من الإنارة للصفوف الأولى، فازدادوا عمى على عماهم، وخُتم على أعينهم بظلام على ظلام، أما الصفوف الأخيرة، فبعد ذلك، اكتنفت هالة من ضيائنا أفق كل منهم، فغدوا يبصرون بأعيننا، لحظتها، أقدموا وتقدموا، لتحرير الممثلين وخشبة المسرح، بكل هبة وهبناهم من شدة، وبكتب مربوطة فوق رؤوسهم وثياب مصنوعة من ورق الكتب وهالة من ضيائنا...

# نخلة ذهبية السعوف

يُقال عمر هذه النخلة بآلاف السنين يا ولدي، لا تنظر إلى حالها الآن، فهي ساقطة عن جذورها، راقدة على الأرض لا يظهر زهوها الحقيقي، كنا نراه في زمن منقضي...

الله يرحمك يا سيدنا...

قالها منذ سنوات طالت، أوان انهمار شلال الشباب فيَّ، مثلك الآن، لم أكن عجوزًا نضبت شلالاته وأنهاره فباتت وديانًا جافة بارزة عليه، حذرنا من يوم ستسقط فيه النخلة، يوم تُسلب كل سعوفها، حكى عن رؤيته في منام كواقع عاشه، النخلة في أرض كأنها الجنة كما وُصفت، حولها أنهار من خمر ولبن وماء سلسبيل، ومن سوائل أخرى لم يرَ أشباهًا لها من قبل ولا يعرف لها اسمًا، ومن كل نهر تفرعات لتسقي النخلة، وقفت بجوارها امرأة أقرب إلى لوحة بديعة مرسومة بفرشة الله، هي الجنة داخل جنة، مرتدية ثوبًا أبيض شفافًا عن جسد بض مرمري يلمع كنجوم عنان سماوات الليالي المكفهرة، أما فوق النخلة، وجدت يدٌ ضخمة، قاتمة السواد، مليئة بالندبات، يد بلا إنسان، تقطف السعوف، الواحدة تلو الأخرى، وتلقي بها، خلال هذا، أخذ يقترب من المرأة، ظن نفسه

قد مات وهذه جنته، فود تقبيلها، رغب في احتضانها، رام لمضاجعتها، لكن عندما وصل لها واحتضنها، وجعلها تستلقي تحت النخلة، حتى كانت كل سعوفها قد اقتطفت، فاقتلعتها اليد من جذورها، فوقعت عليهما، وتحولت، فجأة، أنهار النعيم إلى أنهار حمم، والجنة إلى نار لافحة تحيط بهما، تذيب أجسادهما، وتصهرهما مع بعضهما...

وقتها سخر منه أهل القرية، وتناقلت الألسنة خبر سيطرة خبل الكِبر عليه، ونحن الشباب اتخذناه أضحوكة نستلذ بها في تجمعاتنا، ورعاة النخلة، كما قيل، في هذا الحين حذروه من قول مثل هذا الكلام تارة أخرى وإلا صلبوه على النخلة...

العُرف هو لكل عائلة الحق في رعاية النخلة، وكبير العائلة المسئول عنها أمام أهالي القرية، وبالطبع الفترة المسئولة عائلة فيها على رعايتها الأسعد لهم وعليهم، فيسكنون في قصر مبني على مساحة فدان كامل، ليقتربوا من النخلة، ويحيط بها حدائق وبساتين بجمالها تتلبس الوجدان، والعائلة تغنم أيضًا أموال أهالي القرية، فعلى عكس الواجب على رعاة النخلة، وهو توزيع تمرها على الناس دون مقابل، كانت تأخذ العائلة الراعية أموالاً من أهالي القرية حتى يعطوهم نصيبهم من التمر، ومن كثرة السنين المارة على الناس على هذه الحال، تناسوا نهب حقوقهم، ولم تتمسك كل العائلات القاطنة في القرية رعاية النخلة، فقط العائلات الغنية الجبارة،

ولفترات مديدة وليست محدودة، على عكس العُرف، ولكن كبير كل عائلة برر كل هذا بكلام غير منطقي، لكن، مع مرور الوقت، بات لا أحد يهتم، الناس رغبوا في التمر وحسب، فيا ولدي، تمر هذه النخلة، دونًا عن غيرها، كان يستحق العناء، تمر مبارك، له طعم لم يُذَق في أي مصر من الأمصار...

الله يرحمك يا سيدنا...

كانت هذه النخلة يا ولدي سامقة، شامخة سعوفها إلى أعالي السماء، آهٍ على سعوفها، سعوفها الذهبية، تعكس أشعة الشمس على القرية نهارًا، فينبض قلب القرية عنفوانًا، وإذا أظلم الليل، وجاءنا القمر بضوئه الساحر، تعكسه، كصفحة نهر رقراقة، في أنحاء القرية، فتطوف في القرية ألحان السكون والراحة...في ذهنك تكذب كلامي يا ولدي، أدرك ذلك، فأنت لا تلمح سعوفًا للنخلة الواقعة على ثرى الأرض الآن، لكن الله يلعن أولاد الحرام، تلك العائلات الراعية للنخلة، فإذا أحست إحداهن وقتئذ بأزوف فترة رعايتها لها، تجعل فتيانها الأقوياء مفتولي العضلات يتسلقون النخلة، ويقطعون عددًا من السعوف، حتى إذا انقضت فترة رعايتهم لها، استطاعوا بيعها في البلاد القريبة بمال يعيشون به أفضل حياة وأكرمها لآخر نسلهم، فكما قلت لك يا ولدي، سعوف هذه النخلة ليست كسعوف غيرها، نفيسة، للمشترين مثيرة، سيدنا ظل يحذرنا ونحن نسخر منه، نكذبه كما تكذبني في نفسك

الآن، حتى بقي في بيته ولم يخرج منه إلا لشراء احتياجاته، حتى المسجد لم يعد يذهب إليه، صلى وحده في بيته، وعندما كان يزوره أحد في بداية عزلته يدعوه للعودة إلى الصلاة معهم في المسجد، يصرخ في وجهه:

- أنا لن أصلي جماعة مع أذلاء مثلكم لا يعقلون، قد استخرت ربي على الصلاة وحدي في بيتي، وقد وفقني في اختياري...

يخرج من عنده الزائر له ضاحكًا مستغفرًا من هذا المجنون مدعي وقوع النخلة الموجودة من آلاف السنين مجتزة من جذورها، رافض الصلاة معهم جماعة في بيت الله -عز وجل-، وبقي الحال هكذا حتى انقطعت الزيارات إليه، ولم يعد يراه أحد سوى وهو يشتري احتياجاته، فلا يُحدث أحدًا، ولا يُخاطب أنامًا...

حتى وقوع تحذيره...

في الليلة السابقة لذلك، وكان متبقي أسبوع على العائلة الراعية على انتهاء فترتها، خرج سيدنا من بيته، هرول إلى حيث تقبع النخلة، وبها حوالي خمسة أو ستة سعوف، نظر إلى غِدِرها، أخذ في البكاء والأنين، آهاته تسبق عَباراته، فإذا وقعت دموعه حملتها وطافت بها حول النخلة، وحفر بجوارها حفرة تسعه، حاولت القلة المشاهدة له في ذاك المساء، وكنت أحدهم، منعه من خرفه، لكنه دفعنا بقوة لا تليق برجل هرم في سنه، لم نستطع إيقافه، ثم استلقى في حفرته، كرجل يستقبل موته، ولم يُنزل التراب على نفسه، فظل

قبرًا مفتوحًا، تركناه وشأنه، إلى الصباح التالي، لنستقيظ على صوت وقوع النخلة، بعد قلع المتبقي بها من سعوف فجرًا، فوق قبره، فتغلقه، ليموت سيدنا، ويموت زهوها...

رحمة الله عليك، كنت العاقل ونحن المخابيل، المجانين، يا ليتنا نقدر على إعادة الأحداث، فنستمع إلى تحذيراتك، أتدري يا ولدي، أنا واثق، لن يستطيع إحياء هذه النخلة سوى أحد مثله، والله أعلم، ربما هو حيٌ خالدٌ تحتها ينتظر أحدًا يكمل مسيرته، ويخرجه هو الآخر من مرقد كليهما...

# كالطير على الجدار

- موعد الطعام يا أولاد الكلب...

يصرخ السجان بهذه الكلمات، وتُفتح الزنازين، مؤقتًا...

يومان يفصلاني عن آخر لحظة تطلعت فيها للسماء، كانت ملبدة بالغيوم، وكأنها أرادت إخفاء ما سيحدث عن مرأى زُرقتها الصافية...

أخذت الوجبة الرديئة من سجان آخر، مصحوبة بشتى السباب والشتائم، وذهبت لأجلس على طاولة بها العديد من الشروخ، طاولة شبه محطمة، مَن يراها يدرك عدم صالحيتها للاستخدام الآدمي، لكني من يوم مجيئي هنا ولا أحد يعامل المعتقلين كآدميين...

- ما سبب قدومك هنا يا أخ؟؟

نظرت لمصدر الصوت، فإذا بسائلي أحد الجالسين بجانبي، أتذكر رؤيته من قبل في زنزانتي، أجبته بنبرة ظهر عليها الحنق من هذا المعتقل:

- رسمت...

غريب، لم يظهر أي أمارات تعجب على عينيه، أ مِن الطبيعي اعتقال فنان عبر عن فكره وحريته ونفسه؟!! سألني باعتيادية جامِدة:

- رسمت، اممم، ماذا رسمت إذن؟
- رسمت على سور المعتقل حمامة بيضاء تبسط جناحيها و تطير بحرية ممسكة بمنقارها ورقة شجر خضراء نضرة، فزجوا بي في هذا المعتقل دون حتى محاكمة...

رأيت بسمة تُرسم على وجوه جميع الجالسين على الطاولة، بسمة مزجت بين السخرية والحزن والقهر، وإذا بالجالس قبالتي يترنم وعينيه للسقف، السقف الحارم من مشاهدة السماء:

" يا طيرًا تحلق في السماء
لا تسأل سجناء الأرض الماء
فهم ظمأى مقموعين
ومن الحرية محرومين "

كلماته نافذة تذكرت من خلالها نفسي، تذكرتها وهي يُقبض عليها من أمام سور المعتقل، وهي تُسحل بعيدًا عن حمامتي البيضاء، وأقدام أولاد القحبة السجانين تهرس وجهها، لكن رغم ذلك، بقت عينيها مرفوعة للسماء، لم يقدروا على جعلها تنظر لأسفل، للأرض، لم يقدروا على دهسها، كلما حاولوا، صرخوا من شعور بلهيب يأكلهم، فأعين الساعين للحرية جحيم عنيد، جنات

نعيم، كتب مقدسة، أنبياء شاقية، آلهة جليلة، لا يمكن دهسها، محلها في السماوات وبين النجوم، ظللت أتذكر تلك المشاهد القاسية حتى جذبني منها صوت الشاعر قائلاً:

- لا تتعجب من شئ في حياة الزنازين، زجوا بك هنا لأنك رسمت، وزجوا بي هنا لأني كتبت تلك الرباعية..

انتهت فترة الطعام، أخذونا من جديد إلى زنازيننا، زنازين نتشاركها مع الحشرات، كم هي مسكينة الحشرات، تهرب، طول حياتها قصيرة الأمد، من سلطة الإنسان، وكم مسكين الإنسان، فهو بدوره، طول العمر، يهرب من الكثير والكثير، كله تحت راية سلطات عدة، ربما لو طالت حياة الحشرات، لهربت من سلطات أخرى بجانب الإنسان، دائرة مغلقة تدور حول نفسها، مركزها السلطة الأكبر، القمعية خالقة السوداوية...

إذا بي عند دخولي زنزانتي أغرق في بحور التفكير، التفكير في حمامتي، وفي الرباعية الشعرية، وفي الطير، وفي السماء، وفي سور المعتقل...

في أثناء تفكيري وانقطاعي عن الواقع، السجن الأعظم، شعرت بوخزات في يدي اليمنى، اليد راسمة حمامتي، نظرت لها، فإذا بقطرات دم تقطر منها، لكنها لم تكن تسقط، بل كانت ترتفع فوقي!! رفعت رأسي فوجدت قطرات الدم تتشكل فوقي على هيئة حمامتي، ثم وجدت ضياء وهاجة تشع منها، ضياء لم استطع

البقاء ناظرًا إليها، من شدتها، فأنزلت رأسي، فوقعت عيناي على الشاعر، فإذا بقطرات دم ترتفع من رأسه، وتتشكل على هيئة طير، سرب من الطير، وإذا بضياء مماثلة تشع من هيئة السرب هذه، فعدت بناظري إلى هيئة حمامتي عندما أحسست خفوت الضياء قليلاً، فإذا بتلك الهيئة قد آضت حمامة حية حقيقية، وكأن دماء يدي رسمت حمامتي مجددًا، ونفخت فيها الروح، الحياة، جسدتها في واقعنا، جسدتها في زنزانتنا...

أبصرت سرب الطير يحلق صوب حمامتي، لتتقدمهم هي، فنظرت إلى الشاعر، وفجأة وجدتني ارتفع في الهواء، وكل من كانوا بالزنزانة يرتفعون أيضًا، ووجدنا سرب الطير، تتقدمهم حمامتي، قد نفذوا من قضبان الزنزانة، فلم نجد أنفسنا إلا فاعلين ما فعلوا، نفذنا خلفهم من القضبان، من الجدران، من سور المعتقل، وحلقنا خلف الطير والحمامة إلى عنان السماء وأعاليها، كان الليل يحيط بظلمته الحالكة السماء، لكننا لم نأبه، ظللنا نحلق مسترشدين بضياء الحمامة والطير المشعة منهم، وسمعت صوت الشاعر يشدو وهو مُحلق معنا:

" يا ليل طويل سجنتنا
سيأتي يوم يحلق في سمائك طيرنا
وسنبدد عتمتك بأيادينا
وتغرد طيورنا بأسمائنا "

# رحلة سقوط

يرتعش جسدي، أقف على تلك الغيمة حالكة السواد، المحملة بالأمطار والأحزان، القابعة أمام الشمس، تحجب ضوءها عن البشر، أحاول الإمساك بتلابيب الجرأة والشجاعة، يجب القفز، لقد سأمت هذه الحياة، لقد سأمتها بكل ما فيها، سأقفز، نعم سأقفز...

تحاول الرياح مقاومتي، تحاول رفعي، لكن هذا مستحيل، حياتي ليست ريشة فرت من طائر مُحلق في السماء، حياتي ذاك الطائر عندما تصيبه رصاصة أحد الصيادين...أريد إغماض عيني، لا أريد إبصار مشهد النهاية، لا أريد مشاهدة الورى يلتفون حولي من كل صوب، لا أريد رؤية أناس من الأساس، أتعجل رؤية الظلمة، سأغمض عينيَّ...

كم مر من الدهر وأنا لا أزال مُعلقًا بين السماء والأرض؟

أتوقعها سنين طويلة، لا أود فتح عينيَّ، رغم درايتي بوجوب فتحهما، يجب معرفة لمَ لم ينتهي كل شئ بعد، لمَ طال الانتظار، لكن كم يستعصي عليَّ فتحهما، كم يصعب عليَّ رؤية ألوان هذه الحياة مرة أخرى، ألوان كاذبة، بهجة مزيفة، كل لون في هذه الحياة يصارع الآخر، يحاربه حتى يسطو على أكبر نصيب فيها، على كل

حال، أنا مضطر لفتحهما، إذا لم أفتحهما ربما يطول الانتظار أكثر، أو ربما لا ينتهي الأمر أبدًا، سأفتحهما...

ما هذا؟؟

ربما العدم، فهو معتم إلى حد ما، أرى قطعانًا من بني آدم قادمين ناحيتي، أتقدم تجاههم، وجوههم جميعًا متشابهة، لا تختلف ملامحهم، نساء ورجالاً!! أصرخ مناديًا فيهم أسألهم عن ماهية هذا المكان، لكن لا أحد يجيب، فقط نظرات ساخرة وابتسامات ممتعضة مستهزئة، أصرخ فيهم، اتخبط فيهم، فقد كنت أهرول عكس اتجاه سيرهم، لا أزال أصرخ، عل أحدهم يجيبني، وفي برهة وجدتهم جميعًا يلتفون ناحيتي، يدفعونني، يلقون بي أرضًا، تألمت كثيرًا، سرعة سيرهم وكثرتهم حالت بيني وبين الوقوف مجددًا، فلم استطع إلا النظر إلى أسفل،....!!

وجهه يشبه وجهي تمامًا!!

كل هذا كنت أسير، أنا وقطعان الأنام، على جسد إنسان، وليس أي إنسان، بل نسخة ضخمة مني، نظرت له، ونظر لي، وفجأة أنشقَ، لأسقط بداخله، قطعان البشر بأكملها اندثرت، أغمضت عيني تارة أخرى، حتى وقعت بقوة على أرض مبسوطة، فتحت عيني لأجد نفسي في صحراء شاسعة، لا أرى منتهاها ولا مبدأها، شرعت بالسير فيها، تغوص قدميَّ في الرمال الصفراء الناعمة، رمال شديدة السخونة في صحراء قائظة كأنها راقدة على

موقد لهب، موقد إلهي لا يهدأ لهبه ولا يستكين، وكأن الإله بنفسه ينفخ فيه من روحه لتكون وقودًا له خالدًا لا يفنى...

بدأت أفقد الأمل في إيجاد أي شئ ، أو حتى إيجاد سبيل أنهي به حياتي، كما وددت، في هذه الصحراء، وكأنه عذاب أبدي...

وأخيرًا، وجدت طيف رجلين من بعيد، أخذت أسعى صوبهما بكل ما تبقى لدي من حول، فإذا بي أبصر أحدهما راهبًا أبيض الوجه، له لحية بيضاء طويلة، والآخر رجلاً جزءه العلوي عارٍ تمامًا، حاد السواد، وكأنه خُلق من الليل، دميم مسيخ، والعجيب هذان الثديان المتدليان منه، كان كلا الرجلين يمسك بحسام مسنون غاية في الطول، يحاول قتل الآخر به، أسرعت أكثر صوبهما، يجب منعهما من قتل بعضهما البعض، لا أنكر أيضًا رغبتي في الدراية بسبب قتالهم، لمَ يريد أحدهما قتل نسخة من نفسه، فقد حملا نفس الوجه، وجهي، أي أنهما كذلك نسخ مني!!

لاحظت تعليق الراهب لصليب، حجمه أكبر قليلاً من المعتاد على الصلبان المعلقة على صدور الرهبان، صُلب عليه نسخة أخرى أصغر من الرجل ذي الثديين، أما الآخر فقد صُلب بين ثدييه نسخة أخرى أصغر من الراهب، قسوت على نفسي لاقترب منهما بأسرع ما يمكن، أو أكثر مما يمكن، وعندما كنت قريبًا جدًا منهما، من إيقاف قتالهما، هبت ريح عاتية حجزت بيني وبينهما، أبعدتني عنهما، ريح أخال نافخها هو نسخة أضخم مني، لها نفس وجهي أيضًا مثلهما،

نسخة أضخم من نسخة العدم، وأضخم من الصحراء، نسخة بضخامة إله، وربما أكبر من إله، حاولت المقاومة، لكن كان الأوان قد فات وارتحل، كلاهما طعن الآخر بحسامه، كلاهما سقط أرضًا وابتلعته الرمال، لم تبقى بي قدرة لمقاومة تلك الريح، تركت نفسي لنفخ نسختي الأضخم، رفعني عاليًا عاليًا، إلى السماء، إلى الغيمة، نظرت من فوق الغيمة إلى أسفل، إلى الأرض، لأجد جثتي راقدة، تنظر لي في عنان السماء، وهي تغرق في بحر من العَبرات المنهمرة من عينيها أمواجًا...

# وُلد في الجنة!!

"قُضي الأمر يا آدم...
قُضي الأمر يا حواء...

لقد أكلتما من الشجرة المحرمة عليكما، وبدت سوءاتكما، قد حذرناكم من إبليس، ما كان لكما ناصحًا أبدًا، بل كان مُضلاً خبيثًا، عصى أمرنا بالسجود لك يا آدم، عصى أمرنا بالسجود لمَن خُلقتي من ضلعه يا حواء، ما لكما في الجنة بعد اليوم مكان، أهبطا أرضنا وعمروها، أهدوا أبناءكما لنا، وحذروهم من مُضلكم كما حذرناكم، علهم يكونون أرشد منكما، ومَن ضل فجهنم لا تشبع من جوع..."

أصغى آدم وحواء لكلمات الله هذه، صوت الله جليلاً يهبط عليهما، لم يرياه، في هذا الحين، رؤى العين، فسخط الله عليهما كان فادحًا، لم تجد حواء نفسها إلا باكية منتحبة، حتى أوجد بكاها في الجنة نهرًا، فوقع كلمات الله كان عليهما ثقيلاً، أما آدم فكبت حزنه وتحسره في نفسه، وكلاهما عاريان، وسوءاتها ظاهرة واضحة، راكعان على ركبتيهما، يتضرعان إلى الله ليغفر لهما ما أقدما من ذنب، وإبليس يضحك شامتًا من المخلوق من طين، تفيض سعادته، فتغيظهما، فطفقا يخسفان عليه من ورق الجنة...

أحست حواء بماء ينزل منها، وبألم لا تطيقه، استلقت على ثرى الجنة، بدأت تصرخ ولا تزال دموعها منبعًا للنهر، وزادت مع ألم نزول هذا الماء، لم يدر آدم ما يجب فعله، تذكر نكاحه لها بعد خلقها من ضلعه بفترة وجيزة، ربما يكون هذا أول أبنائهما...

مر وقت ليس بالقليل، حواء تتوجع، وآدم يبحث عن سبيل به يهدئ من روعها، حتى ظهر من تحتها رأس رضيع صغير، أمسك به آدم برفق، وجذبه ناحيته، فخرج الرضيع، وحمله آدم بين ذراعيه، وهب ألم حواء يقل، لكنه ظل موجودًا، وغدا الطفل ثالث العراة في الجنة...

بعد مولد ذاك الرضيع، حان وقت هبوط آدم وحواء إلى الأرض، لم يعلما ما مصيره، هل سيهبط معهما بسبب ذنبهما، أم أنه سيبقى في الجنة فلا شأن له به، ظلا حائران، إلى مجيئ الإجابة على لسان أحد ملائكة الجنة:

- الأمر الإلهي أقر بسكنى هذا الرضيع الأول للبشر في الجنة، ليكون آية في الإنسان النقي، إنسان لم تلوثه الملذات والمحرمات والمعاصي، منذ نعومة أظافره حتى آخر أبنائكما سيظل حيًّا، كتب له الله الخلود، سيكبر في الجنة حتى يصير فتيًا، ويبقى على هذا الطور إلى أبد حياتكم، وإلى خلود أمصرتكم...

هبط آدم وحواء إلى الأرض، وبدأت أولى لحظات الحياة الآدمية فيها، وأُمرت الملائكة بالاعتناء بالرضيع، والملائكة سمعت وأطاعت...

كبر الرضيع، خرج من الطفولة، وبات فتي، كان عابدًا لله مطيعًا، وكأن آدم، الإنسان، أنجب من حواء، الإنسانة، ملاكًا، كالملائكة محبًا لربه، يتأمل مفكرًا في إبداعه، وفي كل تفاصيل الخلق، فقد وهبه الله معجزة، رؤية خفايا الكون العاجز سائر بني جنسه عن رؤيتها، وصل به الفِكر إلى أسمى مراتب العبادة، وإلى أرفع منازل المحبة عند الله...

أحبه الله حبًّا فياضًا، وبعد انقضاء آلاف وآلاف من السنين، وبعد ظهور آلاف وآلاف من بني آدم، قرر الله وهبه هبة أخرى، هبة تميزه عن باقي جنسه أكثر، وتجعل أنقاهم صاحب السلطة عليهم، لكنها، في نفس الآن، اختبار عصي، وهبه الله صولجان يحكم به بني أبيه وأمه، صولجان خُلق من العدم، خُلق بما هو أثمن من الذهب والماس، وبما هو أنفس من كنوز الجنة، خُلق بما لم يُجد له مثيل لا في الأرض ولا في الجنة، جعله الله له وصلاً بينه وبين بني آدم على الأرض، يحكمهم به حكم العابد الصالح النقي، ويتحدث من خلاله إليهم، بل وجعله له موجد بوابة يعبر بها من الجنة إلى الأرض، وإلى أي صوب يريده في الخلق كله، وجعل صولجانه مُنفذ حكمه، يقول للأمر به كن فيكون...

استمسك العابد بالصولجان، فاستمسك الصولجان بالعبد...

غبط بني آدم على الأرض عندما سمعوا صوت العابد يهبط عليهم من السماء، كما هبطت كلمات عقاب آدم وحواء من الله عليهما في الجنة، ينبئهم بأمر الله...

مرت بضع سنين وهو يحكمهم، بدأ تفكره في الكون وخفاياه يتضائل، وبدأت معجزته الأولى في الاندثار، طلب منه أهل الأرض إرسال بعض ملذات الجنة من عنده، فكان غضبه لأول مرة منذ ولدته حواء، تحدث من صولجانه إلى مَن بالأرض من بني آدم بنبرة غليظة مغتاظة:

- أنا أعظم منكم، أنا خالد هنا منذ آلاف السنين، وسأخلد هنا إلى ما لا نهاية، أنا استحققت الجنة بملذاتها، أما أنتم فلا زلتم في الأرض، وعلى فجوركم العظيم بطلبكم هذا يجب ترجي غفراني، وإلا وقع عليكم عذابي وصولجاني، ليرسلن لي كلاً منكم امرأته إلى الجنة، ويرسل لي معها قوته، ويرسل لي أيضًا ما لذ وطاب في الأرض، أنا أفعل ذلك من أجل مصلحتكم، فأنا لست بحاجة لمتاع الأرض...

تعجب أهل الأرض من أوامره، هو في الجنة، خالد فيها منذ آلاف السنين، لديه حور العين، ولديه كل ما لذ وطاب، وكل ما لم يخطر على عقل ولم يستطع الوصول إليه خيال، ويأمرهم بإرسال

ملذات أرضهم الوضيعة!! هل متاع الجنة إذن أكذوبة؟!! أم هذه نفس الإنسان أينما كانت؟!!

فتح العبد لهم بوابة بصولجانه يبعثون بها أوامره إلى الجنة، مارس الجنس مع كل امرأة من نساء بني آدم في الجنة، وكان إذا ما انتهى من علاقة مع إحداهن طعنها به، فيصير دمها رافدًا من روافد نهر خلقه به في الجنة، نهر بموازاة أنهار الخمر واللبن، نهر دمٍ!! ثم يلقي بجثتها، عبر البوابة، إلى الأرض، مرة أخرى، كان يفعل ذلك حتى لا تقدر إحداهن على الاستمتاع بأي شئ في الجنة، ولا بالنظر إلى جمالها، ولا حتى بالرقود والموت فيها، هن هنا فقط لإشباع شهوته، ولري ظمأه، ولإخماد نيرانه، لم يكتفي بنساء الأرض، كان ينكح حور العين أيضًا، أخذ ينهش في ملذات الجنة والأرض...

لم يتوقف عند حد، أخذ يعبر من الجنة إلى الأرض بين الحين والآخر عن طريق البوابة، يسير فيها، ويجعل الناس يركعون له، ويقبلون قدميه، ومَن يتأخر في تقبيل قدميه يسخطه، بصولجانه، خنزيرًا، ويرسل الخنزير إلى جهنم لتأكله، عاش الناس في فساد شديد، اضطر بعضهم للسرقة، وبالتالي للقتل، والعابد صار عبدًا للصولجان لا يهتم بكل ذلك، يهتم بمحاولة إشباع نفسه المشعثة بملذات الجنة والأرض، فكر أهل الأرض في الثورة ضده، أو حتى الاحتجاج على أفعاله، لكنهم خافوا، خافوا من صولجانه وما يمكنه

فعله فيهم، أو ما يمكن إنزاله من عذاب عليهم، خافوا على رعيتهم، على أحبتهم، لم يجدوا سبيلاً إلا دعاء الله واهبه الصولجان...

علم الله بما فعله عبد الصولجان في الجنة والأرض، أمره بالمثول أمامه، وقف العبد أمام الله، لكن ليس وقفة مُحب، كما كان، ولا حتى وقفة شاعر بالذنب، بل وقفة متجبر متسلط...

- اعطيناك ما لا يوجد مثله في الكون أجمع، وهبناه لك لتعدلن، من الجنة، على أهل الأرض، فماذا أنت فاعل به يا عابدنا؟
- أنا لا أقل عنك ألوهية، أنا أحمل الصولجان، أنا يمكنني فعل ما تفعله، لم أعد عابدك، صرت إلهًا مثلي مثلك، بل ربما أقوى منك...
- نحن أوجدنا لك الصولجان، فتخليت عن معجزتك الأعظم، وظلمت وتَفَرْعَنَت، فعزتي وجلالي لتفقدنهما كلاهما، ولتكونن من النادمين، وكلمتنا هي العليا...

تزلزلت أرض الجنة من تحت قدمي عبد الصولجان، وارتفع الصولجان وخرج من قبضته، وأخذ يهتز في سماء الجنة، وهبط طاعنًا عبده، ثم أُضرم من العدم بالصولجان نار لواحة، جف، من شدتها، نهر الدم وروافده، والتهمت الصولجان وعبده، حتى ذاب جلده وأسود، فحملته ريح الجنة إلى جهنم، ليكمل خلوده فيها...

# صلاة العرص

*خُلِق الإنسان عرصًا...*

*وُجِد ابن آدم على التعريص...*

تنهش القذارة الأركان، تلعقها، لا تترك جزءًا إلا بصقت فيه لُعابها، تبتلع الغرفة في جوفها، ممزوجة بسواد مغيم، مربك، لكنه بدى للعرص مُعتادًا...

يوقع العرص الدلو، دون قصده، برجله اليسرى، وهو يرفعها لإنهاء وضوئه بآخر خطوة، فيلفظ الدلو حمولته، ليس ماء كالمتوقع، أو حتى بولاً يليق بقذارة الغرفة، بل سائل أبيض لزج إلى حد ما اختلط، بشكل غير متجانس، بسائل أحمر مائل للدكن كالدم!! تدفق هذا الخليط الغريب، المريب، محاولاً احتلال أكبر مساحة ممكنة، يجري في كل صوب يستطيع الوصول إليه، بعضه تخلل أرضية الغرفة الخشبية المتآكلة، والباقي لم تمتصه الأرضية بعد، استشاط العرص غيظًا، يرغب في إكمال وضوئه، ضرب الأرض بقدمه اليسرى على بقعة من تلك الجزئية غير الممتصة، وانحنى ليمسح قدمه بها...

*خُلِق الإنسان عرصًا...*

*وُجِد ابن آدم على التعريص...*

بغرفة العرص ذلك الدلو، وسرير متين، بالنسبة لسائر الموجودات في الغرفة، فهو الشئ الوحيد المتماسك فيها، فلم يتمكن منه التآكل كليًا، ولمبة جاز، على طاولة مجاورة للسرير شبه متهالكة تمامًا، تحجب شعلتها عينيها كي لا تشاهد ما يحدث أثناء صلاته من مريبات الأمور ومفزعات العقول، فتخفت إضاءتها، والعرص يغتبط بهذا، ربما إذا شعشعت يومًا يثور مهتاجًا، ليس لما تعطيه له من شعور بالألوهية والهيمنة وحسب، فهو يؤمن بسكنى الإله في سماء معتمة، ليس بها سوى بصيص نور ضعيف، بل أيضًا لمواراتها تفاصيل صلواته، تعطيه الرائي به أثنائها فقط، فتخفيه عن عيون جنبات الغرفة، وعن عيون الإله المتسلط القامع، وعن عيون وجدانه...

*خُلِق الإنسان عرصًا...*

*وُجِد ابن آدم على التعريص...*

يتجه نحو السرير، يَمثُل أمامه، عند مسافة كافية لصلاته، هب يخلع ثيابه قطعة تلو الأخرى، ويلقي بها وراءه فتُطمس في المتبقي من الخليط، صار عاريًا تمامًا، ليس كيوم ولدته أمه، فلا يوجد رضيع يملك عضوًا بهذا الحجم، بل كيوم يركب عاهرة عارية فاتنة الجمال، قبض على عضوه بكلتا يديه، و...، و...، وانتزعه!! أبركه قِبالته، مقابل للسرير، ثم جثا على ركبتيه، قبض كفيه ببعضهما،

وشرع يرتل هامسًا كلمات غير مفهومة، عجيبة، لكن الأعجب منها ما حدث بعدها...

أخذ عضو العرص يتضخم رويدًا رويدًا، وقضيبه ينتصب، ولا يزال يرتل، بلغ حجم عضوه حدًّا اعتلى فيه السرير رابضًا عليه، وتكتك خشب الأرضية المتآكل من الثِقل العظيم القابع فوقه، صوت التكتكة إشارة له، فسجد أمام العضو سجدة خاشع، أو بالأحرى سجدة عبد غير قادر إلا على الرضوخ لإلهٍ جبار، سجوده طال، وفجأة انهمر من القضيب الضخم كميات هائلة من السائل الأبيض اللزج، ظل هكذا حتى غُمر العرص بها، وكذلك الغرفة، لكن اندثر كل شئ داخل بحار هذا السائل عداه...

*خُلِق الإنسان عرصًا...*

*وُجِد ابن آدم على التعريص...*

يعرف الطريق جيدًا، يحيطه البياض وحسب، يستطيع التنفس داخل هذه البحار، أنفاسه مُسْتَعِرة لافحة، وضربات قلبه متسارعة متلاحقة...يسير...يسير...يسير في اتجاه واحد منحوت في ذهنه، ذاكرته تنسى كل شئ وتأبى نسيان نهاية هذا السبيل أو التغاضي عنه...يراها ملتمعة كلؤلؤة في أعماق ظلمات محيطات، رغم وجوده في عالم أبيض، لكن نصوعها أحال البياض، في عينيه، سوادًا، جذابة، مثيرة لكل ما في جعبته من شهوات، عارية تمامًا، جسدها البض...جسدها البض من ذهب!! يسعى إليها سعي الظمآن

لسراب الماء في صحراء قاحلة، عندما وصل إليها ضربها ضربًا عنيفًا!! أخذت تتألم وتئن، ثم دفعها أرضًا، فاستلقت بجسدها الذهبي المتورم، إثر ضربه له، مستسلمة، يركبها، يلقي نظرة سريعة على جزئه السفلي ليتأكد من نمو عضو آخر له بعد انتزاعه القديم، يتنزه بيديه وشفتيه في جسدها، لا يترك فيه جزءًا إلا امتص رحيقه، قضيبه أفعى تتلوى، تروم لبخ سمها في جسم الفريسة، لهيب التقاءه بفرجها يكويه، ففتح رجليها، فرجها من ألماس!! أمسكت أفعاه بفريستها، وغرست أنيابها غرسًا، تبخ سمها الأبيض اللزج، والفريسة تقطر بالسائل الأحمر الدموي، آهاتها العذبة المعذبة تسطله وتسلطنه، يشعر براحة تتمكن من كل أطرافه، لكنه لم ينتهي بعد، حانت اللحظة الأخيرة، لحظة الوداع، شرع يأكل جسدها!! جعل رأسها بداية وجبته الغالية، لا يود تعكير مزاجه بعد ألحان الآهات البديعة بصرخات الساحرة المرتعدة، التهمها كلها في غضون سويعة، ثم تمدد على الأرض، تحول جسده إلى ذهب تدريجيًا إلا عضوه، استحال لألماس، فطفق يلتهم الواصل له فاهه من جسده، ولما غدا في مرحلة لا يمكنه فيها إدراك أي قطعة أخرى من جسده بفمه، بما في ذلك عضوه، بات المتبقي منه هباء، عدا رأسه، فأغمضت عينيها حتى تستيقظ مجددًا، في غرفته، مكونة جسدًا جديدًا، لصلاة أخرى للعرص...

# الأطلال

طِر، حلق في السماء هاربًا، لا تلتفت خلفك، حلقي معه، ألست طيرًا متيمًا في أعشاش فؤاده؟ حلقي برفقته إذن، لن يستطيع هؤلاء القامعين اللحاق بكما في السماء، طريقكما معروف، وفي القلب محفوظ، سبيل الحرية، أسرعا، وانتبها من الغيوم، تفاديها، ليس حين التطلع إليها لتطمئن عليها، عندما تصلان ستنظر لها طويلاً، وستفعلان ما صدكما عنه البغضاء بحرية...

*يا حبيبًا زرت يوماً أيكه...طائر الشوق أغني ألمي...لك إبطاء المذل المنعم...وتجني القادر المحتكم...وحنيني لك يكوي أضلعي...والثواني جمرات في دمي...*

بصيص الأمل رفرف أمامكما، لم يتبقى الكثير، ستسكين جمراتكما المشتعلة بعد دهر من الإتقاد، بعد زمن سلبوا فيه حقوقكما في إخماد نيرانها، ما شأنهم وشأن العشاق، ذاك الميدان ملك الشعب، وأنتما من الشعب، من حقكما ممارسة ما شئتما من الجنس والشهوة والمتعة عراة على ثراه، أوكل هذه المطاردة من أجل تلك القبلة اللذيذة الطويلة في الميدان؟!! لم تكن خلعتَ كل ثيابك بعد، وأنتِ كذلك لم تكوني كشفت عن ضياء مفاتنكِ كاملة بعد،

لم يكن جسداكما قد التحما التحامًا مكتملاً مبردًا للهيبكما بعد، هم هكذا، لا يستلذون الحب، ولا يتركون أحدًا يستلذه، ببذاتهم العسكرية السخيفة قاهرة الشعوب، ولحاهم الممتدة الوسخة المتفحمة سوادًا...

لقد بلغتما وجهتكما، ها هي أمريكا، ها هي نيويورك باسطة يديها لكما أيها المُغرمان، وها هو خليجها، يربض عنده تمثال الحرية على جزيرته، الغادية شعلته جنتكما، هيا، لا أحد يعلم هل سيتمكنون من الوصول إليكما أم لا؟؟ إذن فقوما الآن بما شئتما حتى إذا ما قبضوا عليكما لا يمكنهم انتزاع حريتكما في الحياة، في الجنس، فستكونا قد مارستماه بالفعل، هلما، اهبطا من أعالي السماء على شعلته...

*هل رأى الحب سكارى مثلنا؟...كم بنينا من خيال حولنا...ومشينا في طريق مقمر تثب الفرحة فيه قبلنا...وضحكنا ضحك طفلين معاً وعدونا فسبقنا ظلنا...*

فوق شعلة تمثال الحرية، تجردي من ثوبك، نعم، نعم، توهج يا جسمها اللدن، اسطع بأنوارك الإلهية أيها الفرج المثير، أجذباه إليها أيها الثديان العظيمان، وأنتَ، ماذا تنتظر؟! اخلع ملابسك، نعم، هكذا، عضوك يتلألأ في عينيها كنجم له شعاع أوحد هائل، هيا استلقي، استسلمي له، وأنتَ، الثم شعرها المنسدل، اقبض بشفتيك شفتاها المعقودان كأغصان أشجار الجنة، رقبتها المماثلة لجزوع تلك

الأشجار، ثدياها الممتلئان، حلماتاها المكتنزتان، لا تترك جزءًا في جسدها لا تمسه شفتاك ويداك، وهي بدورها تصدح بالآهات الآسرة، آهات كعزف الآلهة، ألم يحن الوقت بعد؟ لتعلو الآهات، ولتغرس شعاع نجمك في أنوار فر...ما هذا؟!! وكأن شعلة الحرية تتزلزل، لاااا، أمسك بيدها جيدًا، ما هذه الحفرة المنشقة فجأة في هذه الشعلة؟!! وكيف نجوت أنتَ ولم تستطع إنقاذها من السقوط فيها؟!! يا ابن الغبية...

*وإذا النور نذيرٌ طالعٌ...وإذا الفجر مطلٌ كالحريق...وإذا الدنيا كما نعرفها...وإذا الأحباب كلٌّ في طريق...*

هل ستتركها هكذا؟؟ هل ستتركها داخل تلك الشعلة، المفترض إضاءتها بالحرية العالم، بعد حبسها لها؟؟ قطعًا محال، عَجل، شعاع نجمك لا يزال منتصبًا، إذن فطِر حتى تدرك فرج ممسكة الشعلة، وأكوها به حتى تحرر فاتنتك من شعلتها، ولا تتوجس، شعاعك قوي، يكفي هذا التمثال ويكفي مولعتك لإطفاء ناركما، اهرع، أحسنت، لقد وصلت، هيا أضرم فرج هذا التمثال العملاق، ما هذا أيضًا؟!! كيف أسرك هذا التمثال داخل فرجه المظلم؟!!

*أعطني حريتي أطلق يديّ...إنني أعطيت ما استبقيت شيئًا...آه من قيدك أدمى معصمي...لمَ أبقيه وما أبقى عليَّ...ما احتفاظي بعهود لم تصنها وإلام الأسر والدنيا لديَّ...*

لا يهم، إذا كنت داخل سجن هذا التمثال فهذا يعني نبت أمل في لقاء حبيبتك مرة أخرى، فلا يوجد حواجز بين سجون تمثال الحرية هذا، ماذا تترقب؟؟ هيا انطلق وابحث عنها في كل مكان داخل هذه السجون الضخمة المعتمة، وبعدها حاول معها التحرر، هرول هنا وهناك علك تجدها...

ها هي، نادي عليها بأعلى صوت تقدر عليه، اركض نحوها بكل ما أوتيت من وسع وسرعة، وأنتِ أجري نحوه، لقد دنيتما من بعضكما، ما هذا الزلزال مجددًا؟!! ثابرا للاقتراب من بعضكما، على الأقل إذا متما فموتا في أحضان بعضكما، لماذا ينهار كل شئ حولكما؟!! لن تتمكنا من الوصول لبعضكما أبدًا، فتمثال الحرية والسجون بداخله تهوى، بعض الحطام يغطي جزيرة الحرية، وبعض الأطلال تغوص في مياه خليج نيويورك المحيطة به، مثلكما تمامًا، تغرقان في تلك المياه، كلٌ منكما بعيد عن الآخر، مفترق عنه...

وداعًا يا تمثال الحرية، وداعًا يا سجون تمثال الحرية، وداعًا أيها الولهان...

*يا فؤادي لا تسل أين الهوى...كان صرحًا من خيالٍ فهوى...إسقيني وأشرب على أطلاله...وأروي عني طالما الدمع روى...كيف ذاك الحب أمسى خبرًا...وحديثًا من أحاديث الجوى...*

# ساعة يد

أطيل النظر إلى ساعة يدي، لا أود الاصطدام بأعين الناس، خاصة النساء، يربكني الأمر، أشعر بعواصف في فكري، عندما تصوب الأعين سهامها صوبي، أعين كُثر، أعين تتحدث، تسخر عينا إحداهن مني، وعين أحدهم تنظر لي باحتقار واسمعها تنعتني بابن الكلب، وأخرى لم انتبه لجنس صاحبها تصفني بالأحمق، لا أجد مفرًا لي سوى ساعتي، أنظر إليها طويلاً، حتى أشعر بعواصفي تهدأ، وبسرب الأسهم يبتعد عني، يخطئني، أصبحت أشعر بالعُري إذا ما خلعتها، وأشعر بمعصمي قد قُطع من ذراعي...

ما كل هذا الزحام؟؟ ما كل هذه السهام؟؟ يا ليتني اتخذت طريقًا آخر، ها هي الأعين متجهة نحوي مجددًا، والورى يتخبطون بي، إلى متى سأظل محدقًا إلى ساعتي، وإلى عقاربها المتوقفة؟؟ أنا لا أحتاج بإرتدائها إلى معرفة الوقت، لماذا قد يرغب إنسانٌ عاقل في إدراك كم مر من ثواني ودقائق وساعات عمره؟! لا يفعل ذلك إلا المخابيل، هؤلاء السائرين في طريق الانتحار حتى منتهاه، أما أنا، فأحتاج بإرتدائها إلى الفرار، إذن فما فائدة تحرك عقاربها بالنسبة لي؟ لا يوجد داعٍ حتى أصلحها، وللحق، توقف عقاربها يزيد من سكينتي، رغم عجابة الأمر، لكن هذه حقيقة لا أعلم سببها في نفسي، مجرد النظر إليها وعقاربها متوقفة مشلولة يخلق حولي

حصنًا منيعًا عظيمًا يحميني من السهام...

*****

كيف هذا؟!!

حتى لو... كيف...؟!!

كيف صارت عقارب ساعة يدي تتحرك فجأة؟!!

وحتى لو حدثت معجزة دبت في عقاربها الروح من جديد، هل يُعقل تحركها بهذه السرعة في الاتجاه العكسي؟!!

أشعر بدوار، رؤيتي باتت مشوشة بعض الشئ، لا أريد الابتعاد بناظري عن الساعة...

لاااااااااا، لاااااااااا، لا تتركني، أرجوك، لماذا تترك ساعتي معصمي وترتفع إلى السماء، وانخفض أنا إلى الأرض؟! أنظر فوقي حتى استطيع القفز والإمساك بها، لكني أجدني أتضائل حجمًا، والأنام من حولي يتضخمون، ولكنهم بدو غير مبالين، وكأنهم لا يحسون بأحدٍ بينهم يختفي بلا سابق إنذار أو إشارة، وكأنني نسي منسي، وكأن رجاء السيدة العذراء مريم قد وصل لتوه لسماء الله، فقرر الله تحقيقه مع أحد عباده، فكنت المختار ليسقط عليه دعاء مريم، لا أفهم كيف يجرؤ إنسان على الدعاء لنفسه بأشد عذاب، بالنسيان، ولماذا أتحمل أنا جزاء دعائها المريب؟!! الساعة ارتفعت للغاية، لا يمكنني الوصول إليها، والآن قد صار جسدي في حجم لا يُرى، وكأني عندما كنت في حجم يُرى منذ ثوينات قليلة أحد قد اهتم

لأمري...

أجلس على الأرض، أرفع ركبتيَّ إلى مستوى ذقني، وأغمس رأسي بينهما، أخفيها بينهما، واكتنفها بذراعيَّ، كما لو كانت عارًا، عَبراتي ودموعي تخرج من محبسها في عينيَّ، وظلال هؤلاء الأنام الضخام أحالت النهار عندي ليلاً دامسًا، فلا أبصر لألأةً للعَبرات والدموع والعِبارات، وأصواتهم ضجيج، يعلو الضجيج، يعلو، ويعلو، حتى يصير سيانًا للصمت، كلاهما غير واضح، وكلاهما معبر...أنا غريب تائه وسط غرباء...غدوت في حجم ذرات التراب، التراب، لا التبر، فرغم التقارب في حجمهما، لكن مثلي لا يكون تبرًا، مثلي يظل ترابًا...أقدامهم تدهسني، ولا أدري كيف لا أزال حيًا بعد كل هذا السحق؟!!

أخيرًا...!!

يا عزيزتي تعالي إليّ، انتشليني من هذا العذاب، من هذا الجحيم، هيا يا ساعتي الغالية، اهبطي أكثر فأكثر، أدرك تمام الإدراك هول ضخامتك الآن على حجمي هذا، لكن لا تهتمي، نعم، تعالي، نعم، نعم، لكن ما هذا؟! تنفتحين يا حبيبتي كبوابة ذات اثنا عشر بابًا، ويشع من داخلك ضياء سوداء حالكة!! لا يهم، افعلي ما شئتِ، المهم أنجديني مما أنا فيه، هلمي، ابتلعيني بداخلك، هكذا بالتحديد، وأغلقي بواباتك، فما أجمل سجنك المقلوع من سجون الجنة...!!

# نجمة قريتنا المقدسة

العمدة الجديد يقف على سطح داره النائي وحيدًا عن ديارنا المتلاصقة في وسط القرية المتسلط عليها، في الليل، ضوء النجمة المقدسة، يصيح بصوت غليظ جهوري في الهائمين في الطرقات، وسرعان ما انتبهوا وانصتوا له:

- بسم الآب، بسم يسوع الابن، بسم الروح القدس، بسم الشافعة مريم مضيئة سماءي بنجمتي المجيدة رافعتها إليها، أكون عليكم العمدة الجديد، ما من أمر سيتم إلا برضاي، وما من كلمة ستتفوه بها كنيسة الأنبا فوس إلا بدرايتي، وأدعو مَن تقدس اسمه في السماء بمنحي القدرة على تحقيق أمانيكم، وأتمنى قيامي بصالحكم، لكم مني خلق جنة على أرضكم هذه، لكن لي كونوا خاضعين، ولكلماتي راضخين، دون نقاش أو حديث...

يتحدث بسم الأقانيم المقدسة والعذراء مريم وكأنه سينفذ وعوده الكاذبة تلك حقًا، ما الجديد؟ عمدة مثل كل سابقيه، يتجبرون علينا ويمنعون عنا حقوقنا باسم الصالح لقريتنا، تلك الحقوق العاجة بها بيوتهم، ويا ليته توقف عند هذا الحد، بل يذكر

نجمة قريتنا المقدسة وسماءها كأملاك له، منذ متى صاروا كذلك؟!! هذه سماؤنا، ولم ترتفع السيدة مريم بتلك النجمة الغالية لأجله، بل لكل مَن عاش ويعيش وسيعيش على ثرى هذه القرية المنعزلة عن ضوء القمر، لو كان الأسقف فوس حيًا يسمع تلك الكلمات لبكى حسرةً على النجمة المقدسة، ولربما مات أسى، ولاختفت جثته مرة أخرى كما في موته الأول...

*****

بعض المكتوب في الأوراق الباقية سليمة من مذكرات الأسقف فوس المهترئة، أسقف أبرشية كنيسة القرية، المسماة بعد معجزته، الواقعة منذ سنين لا يتذكر عددها أحد، باسمه:

"لا أصدق الحادث لي، هبطت عليَّ المؤتمنة مريم!! أجزم لو أنبأت أهل القرية لنعتوني بالإختلال، ولكن كيف لا أخبرهم وهذه رسالتها؟!! يا ألله على جلال رئفتك بالعباد يا مريم العذراء! تترجين الله لأجل عباده القليلين الساكنين في هذه القرية الصغيرة المنعزلة، تتنزلين من السماء العليا لتُعلميني أنا، العابد الضعيف، فوس، بما فعلته لنا، حتى أُسعد أهل قريتي بما سيجري قريبًا، ألهذه الدرجة السامية تهتمين حتى لغبطة العباد؟! يا لعظمتك أمنا مريم...

أدرك خوف البعض المستشعر عند سردي تلك الحكاية، معنى تكاثر الظهورات المريمية اقتراب يوم القيامة، يا لهول هذا الأمر!! لقد تدفقت في جسدي القشعريرة وأنا أكتب تلك الكلمات متخيلاً

أهواله، والبعض الآخر سيظنني رجل بلغ أرذل العمر، فخَرِف عقله، وخُبِل، وآخرون لن يكترثوا لكلامي من الأساس، وسيرجعون سريعًا إلى منازلهم قبل حلول ليل قريتنا الدامس المنعدم فيه الضوء، ليتمكنوا من مضاجعة نسائهم قبل تحويل الليل رؤيتهم لعمى، فلا يبصرونهن ولا يتلذذون بهن...

غدًا سأبلغ رسالتك سيدتنا مريم العذراء، وليكن ما يكن..."

******

هذا العمدة ليس كالماضين، بل هو أشد طغيانًا وظلمًا! بالسخرة، أكرهنا على العمل نهارًا وليلاً في صناعة الطوب الأسمنتي!! لم يصرح عن سبب، فقط كلمات مبعزقة عن كون هذا لصالحنا وقريتنا وما إلى ذلك من هراء اعتدناه، جعلنا نصنع في اليوم الواحد آلاف الطوب!! ما الحاجة لكل هذا؟؟ هل ينوي إطعامنا وعلاجنا وكسينا وتعليم أبنائنا به؟!! لكن أحد لم يجرؤ على المعارضة، نحن مجرد فلاحين مساكين، لا يقدر واحد منا على مجابهة تجبر العُمَد، كل رغباتنا لقمة عيش ومداواة وتعليم لأبنائنا، لا نأبه بمثل تلك التفاهات الصارخ بها الكثيرين، من حرية وديمو..ديموطراقية..أو ديمورقاطية -لا أتذكر تحديدًا نطقها لكن غالبًا ديموطراقية- وباقي هذه الحماقات...

فات أسبوع على هذا الحال، فأر الإجهاد يقرض في أجسادنا، وهذا العمدة مدخله لبيوت أجسامنا، حتى في الليل لا يتركنا

نذهب إلى بيوتنا لنرى أبناءنا ونركب نساءنا، وكنيسة الأنبا فوس تنظر إلينا مبتئسة حزينة، والمسيح الحي سمعت صوت نحيبها وأنا أكد مع سائر الفلاحين تحت ضوء نجمتنا...

******

"يا مَن ترنمت السماء باسمك وعظمتك تهبط عليَّ، ثبتي فؤادي على الإيمان بتحقق رسالتكِ، هذا النور المشعشع ليلاً في الأبرشية عند هبوطكِ بها، هذا الإحساس الدفين بالطمأنينة والسكينة الناشب في وجداني حينها، محال كونه شيطان تصور في هيئتك، وكيف يمكن لشيطان التجسد في هذا البهاء؟!! أنا أؤمن أعمق الإيمان بكونه أنتِ، مهما تلاعب الشيطان بوساوسه في قلبي الخائر، لكن لماذا تأخر طلول تلك النجمة المتحدثة عنها يا مريم البتول في السماء حتى الآن؟؟ مر زيادة عن الشهر ولم تُلمح بعد، بدأ المشككين فيَّ وفي حملي رسالتك يتأففون مني ومن -كما يقولون- عتهي، والمصدقين لي يأخذهم الشك في جنوني كهَرِم...

أتذكر كلماتك وأجعلها بصيص أملي في ليلة تُملئ قريتنا فيها ضوءًا بدلاً من تلك العتمة المجتاحة لها غير النافع لإضاءتها شموع ولا حتى نيران تلتهم الأحطاب التهامًا، وبُشرتك لي بنجمة مقدسة ستضعينها بنفسك فوق سماء قريتنا قريبًا، فتحيل حلكة ليلنا نورًا مرشدًا، فيسكن الرجل لامرأته، ويستكين الأطفال من خوفهم البريء الفطري من الظلام، لا أفطن لماذا خلق الله خوف الظلام

فطرة في الإنسان، تتلاشى مع الزمن تدريجيًا حتى تندثر قبل موته، رغم عيش الإنسان فترة الموت في ظلام مهيب؟!! وكأن وقتئذ يتساوى عنده الموت والحياة، والنور والظلام، إذن فما فائدة خلق الله لها في عابده في الأصل، أليجد الحياة والنور يتضائلان، في عينيه، بينما يتعاظم الموت والظلام؟؟ وهل هكذا الضياء محض أوهام؟؟ وإذا كان كذلك فلماذا تنزلتي عليَّ لأجلها؟؟ أتودين إسرار العباد بالأوهام يا مريم؟؟

أشعر بعقلي سيهوى لقاع الجنون فعلاً عما قريب، أرجوك، يا مَن حل عليك الروح القدس بناسوت الرب يسوع، يا أم الله، أرجوك، ساعديني، احتاج منك سبيلاً إلى الرشد، احتاج للتطلع لضوء النجمة الموعودة، وأنا واثق بحق وعدك، هذا سيكون منقذي من الجنون..."

******

هذا العمدة ابن الكلب لا يوجد في جوف جمجمته عقل يفكر!! ما يفعله ليس إلا اختبال؛ أرغمنا على بناء درج بشكل دائري، كأفعى ضخمة تلتف حول فريستها لتعصرها قاتلة، فوق بيوتنا المتلاصقة، بالطوب، ليرقى بالصاعد عليه لأعالي السماء!! للنجمة المقدسة!! وحذرنا، بل هددنا، من الصعود عليه بعد الانتهاء منه، يود خراب بيوتنا!! لا أحد منا يستطيع دخول بيته، منذ يومين، خوفًا من انهياره عليه وعلى آله في أي هنيهة بسبب

هذا الحِمل فوقه، وهذا العمدة مع أهله مستريح في دار لم يقربها طوبه السخيف، أصبحنا نبيت في الشوارع وننام بها، نساؤنا في الشوارع ليلاً كالعاهرات الساقطات بنات القحبة، كما لو كنا مجموعة من القوادين المعرصين، وأبناؤنا باتوا كالشحاذين من كثرة التهام أتربة الشوارع لهم، ونحن أضعف من القيام بأي شئ يُذكر...

حلت الليلة الثالثة، على الأرصفة استلقينا لننام تعسين، تغطينا أضواء نجمتنا، الشئ الوحيد المتبقي لنا...بعد ساعتين تقريباً، استيقظنا جميعًا على ضوء أحمر متوهج آتٍ من فوقنا، رفعنا رؤوسنا للسماء، لنجمتها الوحيدة، لنجدها بلون الدم، بلون الغضب، أمعنا النظر لنفهم، لكن لسنا بحاجة لهذا، فالنجمة بنفسها تدنو منا كثيرًا!! لكن بعد التركيز، ليست النجمة هي المقتربة، فهي لا تزال محمرة في السماء، بل ضوء آخر مليح، كالمكتنف الأيقونات المتحلية بها كنيسة الأنبا فوس، أيقونات أمنا مريم العذراء!! وكانت قابضة العمدة بين يديها!!

- لم يضحي الأسقف فوس المسكين قديمًا بنفسه في الظلام من أجل النور للقرية كافة حتى يسعى ناهب كهذا لإغتصابه...

نظرنا لبعضنا، لا نفقه شيئًا من كلامها، ما هذه التضحية المشيرة إليها؟!! لم يُجد كلامٌ كهذا في أوراقه الباقية من مذكراته المهترئة، وماذا فعل هذا العمدة الحقير؟!! كلامها مبهم غريب علينا...

ألقت جسده أرضًا، ورفعت وجهها، المثير في الوجدان الراحة، ناظرة إلى السماء، وأخذت ترتل، قابضة كفيها ببعضهما، كما في أيقونات الكنيسة، ثم صدحت قائلة:

- المسيح صُلب ليتخلص الإنسان من الخطايا، وهذا الرجل بقائه خطية عظيمة، فلماذا أنتم تاركوه؟!! ابعثوا النور في ظلام الخطية لتنقشع بحمل المسيح لها...

نظرنا تارة أخرى لبعضنا، لكن هذه المرة نحن نعرف ماذا سنفعل، انقضضنا على العمدة، سحلناه صاعدين على الدرج المبني فوق منازلنا، حتى أدركنا النجمة المقدسة، وطوحناه داخلها، ابتلعته، صلته، أحالته رمادًا أسود أزاحه ريح، ثم أنزله الأرض، فانبثق منها، فجأة، دود مذعر تغذى عليه كله! ثم هب إحمرار النجمة يهدأ، وتعود لطبيعتها، فإذا بنا نبصر داخلها وجهًا يشبه وجه القديسين، مماثل للوجه المرسوم أيقونة على جنبات الكنيسة بأيدي أهل القرية قديمًا للأسقف فوس بعد اختفائه وانبلاج النجمة في السماء!!...

نزلنا والحيرة والارتباك بينين على وجوهنا، أكملت أمنا مريم تراتيلها شاخصة للسماء، ثم قالت بصوت كتغريد العصافير بديع:

- يضحي البعض بنفسه في ظلام، لأجل ضوء أو نجمة تنير العتمة، فالظلام طريق من طرق الضياء، حتى المسيح يسوع

ذاق ظلام القبر قبل قيامه ليعود للاهوته نورًا يُهتدى به، وكان يروم ذاك لسلب الضياء منكم...

ثم علت إلى السماء، واختفت أمام ضياء نجمة قريتنا المقدسة، ونحن شرعنا نهدم الدرج اللعين...

# على ألحان شوبان

استيقظ، لا أعلم هل الدنيا صباح أم مساء، ولا اكترث، أرسل عينيَّ لسقف غرفتي، الساكن فيها وحيدًا كالقمر في السماء، فليس لي أهل، غرفة واحدة صغيرة تكفيني، لذا فهي مسكني بأكمله، لا أملك الرغبة في القيام من وضعية الاستلقاء، بقيت هكذا لفترة لا أعلم مدتها، محروم من الحياة، ممنوع من الموت، ثم جاءتني أفكاري تتراقص كغازية في مولد سيدنا...عقلي، برهة تجعلني أتقى الناس، وحينًا تعرصني! يا للضحك!...

ثم رقصت غازية فكري على نغم مَن حولي، هل حقًا يكنون لي أي شعور نبيل حقيقي أو حتى مزيف؟؟ لا يفرق، بالنسبة لي، كلاهما متشابهان، فما الحقيقة إلا الزيف الأعظم، المستطيع هزيمة كل أقرانه من الزيوف ليرتدي هو رداء الانتصار، رداء الحقيقة، يدوم هكذا حاله حتى يظهر الأقوى، الأكثر ضراوة، وينتزعه منه، حتى الأديان كذلك كانت، يأتي الزيف الأمتن ليسلب رداء الحقيقة، المتمثل في الإيمان، رويدًا رويدًا، من الزيف المهيمن قبله عليه، ويقيد، بدلاً منه، بيديه الضخمتين، العقول...

لا أزال مصوبًا بصري للسقف، يُرسم عليه وجوه مَن ماتوا، مَن فارقوني، مَن هذه؟ لا أتذكر اسمها، وهذا أيضًا لا أتذكر اسمه، يا للزمان وعرينه المختبئة به الوجوه من الذاكرة، هذا الوجه الثالث كنت قد نسيته منذ سنين وتذكرته الآن، سقيع مفاجئ يتسلل إلى جسدي، ألهذا الحد ما الحياة إلا لص؟!! لص ينهب المشاهد والوجوه من الذهن، بكل جفاء وغلظة، هل حقًا مَن حولي حتى لو يحملون نحوي أي مشاعر نبيلة سيتذكرونني بعد موتي؟؟ لا أريد الفناء، عابر سبيل في هذا العالم، لا أود ذلك، لا أبغي الوحدة بعد موتي، لا أحد يتذكر اسمي، لا أحد يتذكر وجهي، لا أحد يتذكرني، أشعر بضربات قلبي تتزايد لمجرد طرح الفكرة في عقلي، أشعر بألم ونخزة شديدة فيه، يلعن الله تلك الغازية الراقصة أمامي على هذه الأنغام القاسية، المزعجة، تترقرق عيني بدموع لا تقدر على النزول إلى وجنتي، فالبرودة العاتية غرست أنيابها في صدري، في قلبي، وتشذرت إلى سائر جسدي، فإذ بالدموع تجمد في مقلتي...

أنظر بجانبي حيث يرقد اللابتوب، أمسك به، أفتحه، أحدق لفترة بلا أي فعل في شاشته المضيئة، استجمع قواي، أشغل أولاً مقطوعات من ألحان شوبان، وبعدها أفتح الفيسبوك، أرى هذا الشريط المكتوب عليه "بمَ تفكر؟"، أفكر في مشاهدة عزائي وما بعده بنفسي، أفكر في رؤية أثر وفاتي على الناس بنفسي، وهل سيكون النسيان غريمي المنتصر عليَّ؟؟ لا، مستحيل...

على ألحان شوبان -الشاعر بلذة عجيبة أثناء الكتابة عليها، أحس وكأني هائم طائر في السماء، حتى لو كنت سأكتب عليها منشور موتي-، اختار صورة مكتوب بها جملة (إنا لله وإنا إليه راجعون) مع دعاء للأموات وآية قرآنية على خلفية سوداء، وصورة أخرى لي أضع بجانبها الأيسر علويًا شريطة سوداء، وأكتب منشورًا، كأني أحد معارفي، على صفحتي الشخصية على الفيسبوك، عن خبر وفاتي، وعن القيام بدفني بالفعل، وعن مكان قبري لمَن يشاء زيارته فيما بعد، وعن المكان المقام به عزائي، ورجاء بالدعاء لي، وأنشره، تمر دقائق فأجد عشرات الإشعارات تنهل عليَّ بالتفاعلات الحزينة وبالتعليقات الداعية لي بالجنة والرحمة والغفران، وبعض التعليقات بُدِأت بالحوقلة والتعجب من صغري على الموت، والعظة من موتي، فالموت يأتي في أي لحيظة، وكأني كنت ظالمًا فاسدًا قبل نشري هذا المنشور الكاذب، وأخرى بجمل التعزية، لكن جميعها كانت تعليقات باردة بالنسبة لي، تعليقات بلا شعور، بلا إحساس، كُتبت من أجل الواجب، كُتبت بملل وكسل، كُتبت باعتيادية، فلقد علق كاتبها بمثلها من قبل على عشرات وربما مئات أخبار الوفاة، كُتبت بلا عَبرات حارة تتساقط، بلا صراخ وعويل ونواح، بلا بكاء ودموع...

في خلال خمس ساعات أو يزيد قليلاً، كنت قد انتهيت من إعداد ما يلزم من أجل عزاء مزيف لي في المكان المشار إليه في

المنشور، لم يتبقى سوى المُعَزين، حل الليل، فأنا فيما يبدو كنت قد استيقظت في الظهيرة، جاء عدد لا بأس به من المُعَزين، لا يمكن وصفه بالكبير، كذلك لا يمكن نعته بالقليل، لكنه ليس كالعدد المهول المعلق على منشور موتي...

رومت لإبصار أثر موتي على الموجودين، وفي نفس الآن مُحال ظهوري، فلا يمكن لميت حضور عزائه، لذا جعلت من نفسي مستقبل المعزين!! مع ذقن مزيفة ونظارة سوداء العدسات أدعي بها العمى، لم ينتبه لي أحد، لكن للصدق، لم ينتبه لي أحد ليس لبراعة تخفيٍّ، بل لعدم اهتمام أحد حقًّا، حتى لم يسألني أحد عن مَن أكون أو ماذا أقرب للمرحوم، الجميع ينتظر لحظة يغادر فيها العزاء، هو هنا فقط من أجل الأصول والواجب، وحتى لا يقول عنه أحدهم كلمة بذيئة أو كلمة تسيئ لسمعته ومظهره الاجتماعي أمام الأنام، بل هم أنعام بمثل تلك الأفكار الرجعية المتخلفة المتناسين بعدها الإنسان، المتوفي، ويصونون مظهرهم الاجتماعي السخيف...

اتقلب في الوجوه المحيطة بي، وجوه ظهر عليها حزنٌ ذو زيف عظيم، ووجوه زيفها ضعيف، لا يقوى على التزين برداء الحقيقة، وأخرى لم يظهر عليها إستياء، كانت تقاطيع وجوهها هادئة مستكينة، ومع ارتدائي تلك النظارة، ظهرت كل تلك الوجوه لي من خلف سواد فيه بصيص من الشفافية...

انتهى العزاء، ذهب كلٌ إلى حال سبيله، وأنا سأعود إلى غرفتي، سأظل بها طويلاً، حتى أدرك ما نهاية فعلتي هذه، كي لا يلمحني أحد، وسأغلق صفحتي على الفيسبوك، لكن قبل هذا، عليَّ وضع رخامة كشاهد في المقابر يحمل اسمي، وبالقرب منه، بشكل غير ملحوظ، كاميرا مراقبة لأعرف مَن زار قبري ومَن لم يزره، قمت بهذا بعد دفع مبلغ كبير للحانوتي، حتى الحانوتي، دافن المقتلعة أرواحهم بيديه، يسعى وراء مطامعه، هي هكذا النفس البشرية، ساذجة...

مرت أيام طوال، يقل عدد زائري قبري يومًا تلو الآخر، والعديد ممَن يزورنه مرة لا يزورنه أخرى، ومع كل يوم يمر، ومع كل تناقص في عدد زائري قبري المزيف، ومع كل شخص يأتي للقبر ويغادره، يغادره إلى الأبد، لا يعود له مجددًا، أحس بالضيق، أحس بروحي في يد سلطة تعذب فيها كيف تشاء، هل حقًا انتصر عليَّ النسيان؟؟ لا، لا يمكن، لا يزال هناك زائرين، حتى لو تضائل عددهم، لكن لا يمكن إنكار وجودهم...

جاء اليوم المُهاب في نفسي، لم يأتِ أحد لزيارة قبري، سأنتظر أيامًا أخرى، ربما حدث لمَن ود زيارته مشكلة عويصة، أو إعتل بداء لم يستطع إثره المجيئ، أو ربما وربما وربما، يحدث الكثير في الحياة، لا أرغب في فقدان الأمل في معركتي مع النسيان، لكن تتالت الأيام خلف الأيام، والأسابيع وراء الأسابيع، بل والشهور بعد الشهور، لم

يزر أحدٌ قبري، نفسي غللها الأسى وعذبها كأسير حرب، لم يعد أمامي إلا أمل أخير للتأكد من ماهية نهاية معركتي مع النسيان، قمت بعمل صفحة مزيفة على الفيسبوك باسم مزيف، أرسلت طلبات صداقة لكل مَن عرفتهم، ومنشوري الأول عليها، والوحيد، كتبته، على ألحان شوبان أيضًا كمنشور وفاتي، على ما كانت الصورة الرئيسية لصفحتي الشخصية، أتسائل فيه عن كينونة هذا الشخص في الصورة، فإذا بالتعليقات على هذا المنشور صادمة لي، قاهرة لكل تمني، كل أصحاب التعليقات على هذا المنشور لا يعرفون مَن هو هذا الشخص، أو بالأحرى -كما أدرك أنا- لا يتذكرونه!!!

لقد انتصر عليَّ النسيان!!!

لقد شهر سيفه قِبالة وجهي وغرسه في فؤادي وإجتز رأسي!!!

لاااااااااااا!!!

خرجت من غرفتي مندفعًا، تظهر الفوضى على هيئتي، أخذت أهرول في الشوارع والطرقات، الفجر يحاول التخفيف عني بأمطاره المتساقطة، أجلجل بكلمات عبثية غير مفهومة، تخاريف، كل ما يُفهم منها هو: (النسيان، ولا)، اتخبط في الناس، لا أبالي بالشتائم والسباب الموجه لي، أعرف وجهتي، المقابر، وصلت هناك، أنقض على شاهد قبري، المكتوب عليه: عبد الرحمن أبو المكارم، وتاريخ الميلاد، وتاريخ الوفاة المزيفة، تنبثق من باطنه، مانعة ظهور الاسم، سيوف النسيان، أمسكت بصخرة كبيرة، رفعتها، وأخذت أحطمه

بها، ثم وجدت سائلاً أزرقًا شفافًا تنهمر داخله كلمات عديدة، آلاف وآلاف، يتدفق من يدي، من فمي، من عيني، من وجهي، من جسدي أجمع، شرع على جسمي يتحجر، والكلمات عليه بينات باقيات، وآخر مسموع احتضن أذنيَّ، قبل التحجر تمامًا، كتمثال خالد من عصور قبل الميلاد، والاستحالة لروح زرقاء، كلون السائل المتحجر، تسرد من العدم كما لو كانت لا تزال في الحياة، عزف السماء لألحان شوبان...

# الفــرار

خلفك، هو قريب منك إلى حد لا تتخيله...

ما الواجب عليَّ فعله إذن؟؟ أنا مرتعد، جعلت خطوات سيري حثيثة، أهكذا ابتعد عنه؟؟

لا، بالطبع لا، هو فائق السرعة، هرول، إجري، بأقصى ما يمكنك، أفطن إعاقة الأمطار المتساقطة في هذا الفجر لهروبك بالبرك الخالقة لها على الأرض، لكن دعنا متفقين أنت لا تعرف ما هذا، ولا تدري ماذا سيفعل إذا أمسك بك، فالأفضل لك الهروب، ألا تتفق معي؟؟

أتفق معك...

أنفاسي، مثلي، تندفع راكضة، وطفقت رجلاي تنبضان بالألم، وقلبي يبث الدماء متلاحقة ممزوجة بالخوف، ماذا يود مني هذا؟؟ أنا أفر من قدر لا أعلمه، أفر من ظلامٍ لا أوقن حتى كينونته، يبعث في وجداني عتمته، أفر من نفسي، وأفر منك، أفر من اللاشئ، ومن كل شئ...

رغبتك في الهروب مني حقك، أنا كذلك أروم إلى الهروب مني، ولكن صدقني، أنا أيضًا لا دراية لي بماهية كينونته أو هيئته، أنا حتى عاجز عن رؤيته...

ماذا؟!!

أتسخر مني؟!!

أتلهو بي؟!!

كيف تنصحني بالفرار مما لا أبصره ولا حتى أنتَ تبصره؟!!

أُجزم لك بشعوري به، هو قريب جدًا، الروح تحسه، ولو في وجدانك روح ستشعر بهذا الثقل العظيم يتخللها أكثر فأكثر كلما دنا، ألا تشعر به؟؟

أشعر به بالفعل، لكن صدقًا، أنا أحس بهذا الثقل العظيم منذ نفخ فيَّ الإله روحًا واعية -ربما زاد قليلاً الآن-، نفخ فيَّ روحًا واحدة فقط، رغم إدراكه الكامل بالحاجة لأكثر من روح، يطالبني بمحاربة كل هذا بروح واحدة!! يا للسذاجة!! هذه جريمة إلهية، كان بإمكانه نفخ مئات الأرواح فيَّ، ولكنه لم يقم بهذا، ومَن سيعاقب الإله إذن؟!! أ هم العباد الغادين في محارباتهم عبيدًا؟!! قطعًا لا، الإله يأثم، ولا مُعاقب، والعبيد يتحملون الخطايا...

آآآآآآآآآآآآه...

الثقل يتبعثر في النفس، كشعب فاض وضاق صدره من حاكمه، فتفشى في كل صوب يزعق ويثور، ومُحال ردعه...

حاول تضيعه، ادخل في الشوارع الضيقة والحارات المتداخلة، أَعي إتعاب الثقل لك، وكذلك الإهراع، لكن هناك بشارة، المطر شرع في الانقطاع...

هل أنت أحمق؟؟

ألا تدري إعاقة هذه البرك المتواجدة على الثرى لي؟؟

لا تأبه لهذا، هذه الحارات البسيطة لا يصل لها لا الغيث ولا ضوء الشمس أو القمر، مَن فيها مساكين لا ينتبهون متى تمطر الدنيا ومتى تظلم ومتى تنير، تبقى فقيرة جافة تصد أسطح مبانيها المتهالكة المتعددة كل شئ، بينما تتمتع غيرها من الشوارع الواسعة بالأمطار كلها، لن تجد بركًا هنا، هلم إذن، لا يوجد وقت...

أ تظن مهما دخلتُ في تلك الحارات سأظلُ بها، من المؤكد سأضطرُ للخروج منها خلال هروبي هذا، وسأقابل بركًا مرة أخرى، ما عاد بي طاقة لتحمل كل هذا...

دعنا فيما أنت فيه الآن، لا تحسب لأوانٍ لم يقع بعد، ربما تشرق الشمس وتجف البرك قبل الخروج، وقد تشتته في التداخلات والتقاطعات الزاخرة بها هذه الحارات...

...

ها أنا ابتعد عن أغوار الحارات، ولم تجف البرك بعد، رغم شروق الشمس وسطوعها، ولم أضيعه، لا أزال أحس به، لا أعتقد بإمكاني الفرار منه...

لماذا توقفت؟؟

أُنظر إلى هذه البركة الكبيرة، بركة ترقد فوق الطين العفن، حولها القمامة والقاذورات، ورغم ذلك تخلق ضياء الشمس قوسَ

قزحٍ يقبع على صفحتها المعكوس عليها صورتي كأفضل ما يكون، خلف قوس قزح هذا، أشعر بحض كل هذا لي على ما سأقدم عليه، أنا آسف لك، لم أتمكن من الفرار منه، وأيضًا أنا شاكرٌ لك، حاولتَ مساعدتي على الهروب لآخر هنيهة...

يا له من جنون؟!!

ماذا تفعل؟!!

لماذا تضرب صورتك المعكوسة بهذا العنف وهذا البغض؟؟

يا مخبول، شرايينك وذراعاك ينشقان بالطول، كأخدودين انفجرا في الأرض، صرخاتك والدماء تدفق تثير فيَّ الأسى والشفقة، لماذا صمت وسكنت؟؟ أظن لقد مُتَّ تمامًا الحين، أشعر كأن الثقل بدأ ينجلي من وجداني، لا أفهم أ هذا بسبب ابتعاد مطاردك، أم بسبب موتك، أم بسبب شروعي في الاندثار؟؟

# الطريقة المُثلى لتصير قردًا

*حتى القرود تقتلها الشياطين...*

من فوق عرشه المتعالي، المحمول على أكتاف رهط من القرود، يشاهد الشيطان، بعين تشفٍ وتجبر، متكبرًا، جسد جدي وهو يحترق، في قفس من حديد، حوله الحطب المشتعل...

جميع أهل الجزيرة مرتعدون، لا يجرؤون على السؤال عن سبب الإعدام المجهول، الجميع ضعفاء إلا جدي، يحترق دون أنة أو حرف يدل على الضعف، عينيه تومض بشجاعة غريبة، بين الدخان الكثيف، هي كل ما أبصرها منه، من مكاني هنا، وأنا أحاول العبور من سور الحراس القرود المحيط بمشاهدي الإعدام، لكنهم يمنعوني بقوة، لم أرَ الضعف قط في عينيه سوى عندما سألته، منذ ثلاثة أيام، السؤال المحير لعقلي دائمًا، لماذا صرنا قرودًا؟؟ لمَ جميعنا عدا الشيطان؟؟

نظر لي، وقتئذ، نظرة تأج بالقهر المأسور، والندم البائس، والمقت لكل ما حوله، ولوم النفس، ظل صامتًا، فهمته، لا يريد الحديث، تركته، وذهبت، لم أره إلا الآن، وهو يحترق...

لقد مات...

أخذ الجنود القرود، المسئولون عن الإعدام، الجثة، وألقوا بها في البحر...

ما هذا؟!!

أنا واثق مما لمحت، هذه ليست جثة قرد، لقد سارعوا بإلقائها حتى لا يلحظها أحد، هذه جثة إنسان...

انفضت التجمعات، هرولت نحو البحر، لكن جثته غير ظاهرة، ليس لي الآن غير البكاء والآهات، والموج يشاهدني وأنا على الشاطئ، سامحني يا جدي، لم يكن لي أهل في هذه الدنيا غيرك، لم أزرك قبل هذا، تأخرت على زيارتك، أرجوك سامحني، أنت طيب وستسامحني ككل مرة، ألست حبيبك كما تقول؟

من أسخف الخيالات تلك المصورة الشيطان بقرنين طويلين ملتفين حول أنفسهما، وعينين حمراوتين، والنيران تتراقص حول جسده، حاكم جزيرتنا، بهيئة إنسان طبيعي، كان الشيطان، نعته أهل الجزيرة بهذا الاسم، بين بعضهم البعض، عن استحقاق، بعد ثلاثة أعوام من توليه حكم الجزيرة، بسبب أفعاله، هيمن على الجزيرة، ناهبًا خيراتها، يأكل ثروة قارون فلا يشبع، قامعًا أهلها، فحُكي عن رجل قرر الاعتراض على أفعاله، بعد ما يقرب العامين من حكمه، قبل التحول إلى قرود، وأمام الجميع، تحت قصره، صاح متمردًا هائجًا، لم يسانده أحد روعًا، راقبوا من بعيد فقط، ومن شرفة القصر الفسيحة الشاسعة، المطوقة بسور من الذهب

الخالص، مزخرف بقطع الألماس، أشار الشيطان، بلامبالاة، للحراس، انقضوا عليه، وأحضروه له إلى شرفته، لتراه أبصار الجميع، قبضوا على جسده كالمصلوب، تقدم الشيطان ناحيته، ومزق ثيابه كلها، وأنزل رأسه إلى عضو الرجل، ونهشه بين أسنانه، فسالت الدماء منه كالسيول في الفيافي القاحلة، صرخ الرجل صرخة، قبل موته مباشرة، ظل صداها يرفرف في الجزيرة أيامًا وأيامًا، خرج اسم الشيطان من مجالس سمر بها أهل الجزيرة والرهبة باستثناء المنافقين، الممجدين الشيطان في العلن وحسب، الملقب بعضهم إياه بالنبي، خوفًا من أخطاره وأملاً في رضاه والقرب منه...

بعد قرابة أربع أو خمس سنوات من حكمه، شرعت أجساد أهل الجزيرة في التحول لأجساد قرود، المؤخرات توازي الرؤوس أثناء السير، الشعر الكثيف نما على الجسد، الذيول تتحرك ذات اليمين وذات اليسار كأغصان شجر منصاعة للرياح، أجساد مسوخ، ولا أحد من الجيل الجديد، المولود قرودًا، يدري لماذا تحديدًا، فقط الأجداد، مثل جدي، لكنهم أبدًا لا يصرحون بالإجابة...

استلقي على أرض بيتي، نحن رغم كوننا قرودًا مسوخًا، نسكن بيوتًا لا أشجارًا، ونتحدث بكلمات وعِبارات كالبشر، لا تزال بداخلنا بعض إنسانيات قليلة لا تنقشع، أتوه في غياهب التفكير، انتشلني منها وجه جدي، ظاهر فجأة، منحوت، على السقف، بشكل إنساني، ذا تفاصيل أدق من الملحوظة عند إلقائه بالبحر،

لكنها تحمل نفس الشبه، يرمش بعينيه، صامتًا، أحدق بها وجلاً، قلقت، ربما أهلوس، قفزت لألمسه، فأغمض عينيه منزعجًا من لمستي، انتظرت عله يتحدث، لكنه ظل يرمش، صامتًا، وينظر إلي بعين حنون، عين أجاشت بداخلي ثورة، اشتقت إليه، لمَ أرضخ للظلم؟؟ لن استكين، لن أتجرع إعدامه هكذا، خرجت، ومجالس السمر وجهتي...

- يا أهل الجزيرة الطيبين، لمَ تستسلمون لما يحدث لكم؟؟ لمَ تخضعون لهذا الشيطان؟؟ ألهذه الدرجة تمكنت منكم طينة القرود الصاغرة للقمع؟؟ لقد قتل جدي اليوم، وأنا لن أهدأ، سأثور، كأمواج البحر مبتلع جدي، سأتمرد، هذا حقي، فهل أنتم معي؟؟

دوى صوتي بهذه الكلمات في المجلس، نظروا لي، منكسرين، وبعدها نظروا لبعضهم البعض، السكوت ظل سيد هذه اللحظة وبعض من اللحظات التاليات، حتى شقه أحدهم:

- يا بني، أنت تتحدث وليس عندك رعية، لست مسئولاً عن أب أو أم أو زوجة أو أبناء تقلق عليهم من بعدك، ربما الوحدة في هذه الحالة نعمة، من حقك الثورة، لكن جميعنا يعلم قصة مَن هاج ضد الشيطان، نحن خانعون خوفًا على مَن يعتبرونا رداءهم، لا على ذواتنا، من بعدنا سيصيرون عراة...

سالت بعض الدموع، وترقرق بعضها في الأعين...

- هم عراة فعلاً، أتظن الحياة مقموعين تسترهم؟؟ أشكالنا أشكال قردة، فلمَ علينا العيش أيضًا كقردة، وتوريث هذا العيش الدنيء للأجيال تلو الأجيال، أُعدم مَن كان لي في الدنيا دون حتى درايتي بالسبب، أنا الآن عارٍ، أنا الآن كالمجاذيب، مَن هاج وحده حدث له ما حدث لفرديته، كونوا معي، لن يقدر علينا جماعة...

سيطر السكوت مرة أخرى على المجلس، لكن دون قطيعة...

- إذن سأكون وحدي، فليجري ما قُدر، حقًّا تستحقون أشكال القردة، أما أنا، سأغدو إنسانًا حرًّا، حتى بهيئة القرد هذه...

*حتى الشياطين تقتلها القرود...*

خرجت مغتاظًا من المجلس، هرعت تجاه القصر، مع وصولي، أمسكت حجرًا كبير الحجم إلى حد ما، وجلجل صوتي:

- أيها الشيطان ابن القحبة، أنا متمرد عليك، يا قاتل جدي، أنا ثورة، وحدي، ضدك...

ثم ألقيت الحجر على شرفته، حطم عددًا من قطع الألماس، خرج إليها، ابتسم مستهزئًا، أمسكت حجرًا آخر، وقبل إلقائه، كان قد أشار للحراس، تقدموا صوبي، هذه نهايتي، على الأقل سأموت كإنسان، لمَ ابتسامته تنمحي؟؟

هناك حجر قُذف على أحد الحراس من خلفي، استدير، لأجد أهل الجزيرة جميعًا قد جاءوا، وأخيرًا أدركوا الفرق بين الإنسان والقرد، كل منهم أمسك ما استطاع الوصول إليه، مَن يمسك شعلة، ومَن يمسك سكينًا، ومَن يمسك حجرًا، وغيرهم وغيرهم، واصطدموا مع الحراس، هتفت:

- احرقوا القصر، احرقوا الشيطان...

طُوحت شعل النيران إزاء قصره، فأخذ في الاحتراق، الحراس يُقتلون نفرًا بعد نفر، نعق الشيطان، بدأنا نهلهل، رفعني أهل الجزيرة راقصين هاتفين، لا يمكنه القفز من قصره الشاهق، ولا يمكنه البقاء فيه، موته حتمي...

مات، العجيب كان المنبعث من النيران، لم يكن دخانًا كثيفًا، بل كان مشابهًا للشفق القطبي، على هذا الشفق، إجابات أسئلتي، أُرشدت إليها، فأبصرت عليه أهل الجزيرة عندما كانوا لا يزالون بشرًا، قبل تحولهم لقرود، راكعين أمام الشيطان باسطين أياديهم حتى يلقي لهم فتاتًا يقتاتون عليه ويحيون، ركعوا حتى تقوست ظهورهم وكثف شعرهم ونبتت ذيولهم، وجدي بينهم، فهمت الآن تلك النظرة في عينيه عندما سألته، أراه أيضًا قبل موته، أدركت لماذا حرقه، لقد ذهب، مثلي، لقصر الشيطان، رغب في الصعود له، ليواجهه وجهًا لوجه، أسئلتي أثارته على ما يبدو، أراد سيرة لا يمسها الضعف والخوان، سيرة مستعيدة الحرية، لكن الحراس صدوه، صعدوا به

للشيطان، فأمر بإعدامه حرقًا، لكن ثورته جعلته إنسان تارة أخرى، مات إنسانًا، الموت إنسانًا أعظم من العيش قردًا...

مرت الأيام والأيام، شرعنا في التحول لأناس مجددًا، وبعدما رآني وجه جدي المنحوت على سقفي إنسانًا، ابتسم فخورًا مغتبطًا، وتلاشى من السقف، لكنه تحلق حول القلوب والعقول، وانبثقت زهور خلوده في أرجاء الجزيرة...

# يومٌ لم ينتهي

شجيرات خضراء بهية، قصيرة، تبدو كالأطفال الأبرياء المُدخلين الحب لأفئدة مَن يراهم، إلى حد عدم دهس سكان المنطقة القساة الهمجين لها، لم تستطع الشجيرات على أية حال إدخال بعض المحبة إلى قلوبهم، لكن، على الأقل، اجتزأت منهم بعض الرأفة، وبالرغم من ذلك، وُجِدَت سيارتا شرطة راقدتين على الشجيرات وقمامة على حد سواء، فقد كان يواجه هذه الشجيرات مكب نفايات متوسط الحجم! الشرطيان يقفان، يحاولان التمازح والتضاحك مفزوعين، حجة وجودهما هي حماية هذه المنطقة الخطيرة بمحاذاة الشجيرات ومكب النفايات، ومراقبة ما سيحدث لذاك الطفل أو الطفلة -لا أحد يدري بعد، ولن يدري أحد أبدًا-، الناشب كل ذلك بعد ما جرى له أو لها، للحق لم يتفتق في المنطقة الخطر الحقيقي إلا منذ ظهورهما في بداية اليوم، منذ واحدٍ وثلاثين أو اثنين وثلاثين ساعة تقريبًا!!

المنطقة صغيرة نسبيًا، مكونة من ثمانية مبانٍ وحسب، سبعةٌ منها ممتدة في شارع ليس بالطويل ولا بالقصير، نهايته سد، والمبنى

الثامن في بداية الشارع، مقابل للسد، يجاوره مكب النفايات والشجيرات، هذا المبنى بادئ عنده كل ما لم ينتهي...

صغير، موجود هنا منذ سنين، لا أحد يعلم عددها، ولا أحد يعرف أهله، ولا أحد يفقه ما جنسه حتى!! تراه فلا تدرك أهو أنثى أم ذكر، شعره أشقر مجعد طويل، فيه شبه من الشجيرات، طول شعره لا يناسب طفلاً، بل يناسب طفلة أكثر، وتعامله معه يوحي لك بذلك، يدخل أصابعه بين خصلات شعره ويعبث به بعناية ومتعة، أما وجهه، فهو أكثر ريبة، تتأرجه ملامحه بين هدوء البنات واندفاع الأولاد، حتى تصرفاته كذلك كانت، يجهل سكان المنطقة كل شئ عنه، حزروا فقط احتمالية سكنه في المبنى المواجه للسد، لا أحد يمكنه الجزم بحقيقة هذا من عدمه، محض افتراضات، فهم رأوه دائمًا يخرج منه، لكنه لا يعود له، يختفي في المساء، ليظهر مجددًا في الصباح خارجًا من نفس المبنى، ولم يكترثوا بالبحث وراءه أو حتى الوصول للشقة القاطن والظاهر منها أو إيجاد إجابة لكيف وأين يكتمن مساء، فلديهم مشاكلهم ومضغثات حياتهم المستحقة الاهتمام أكثر، فتركوه يلعب ويرتع في المنطقة دون سؤال أو استفسار، لكن المهم بقائه بعيدًا عن أبنائهم، فهم شكوا في إنسانيته من الأساس، ربما من جن!!

في المبنى المواجه للسد، دخل شرطيان لتهديد أحد السكان، رجلٌ اضطر للسلفة من أحدهما بسبب ضيق الحال، وبسبب ضيق الحال فعل ما لا يُعقل، استدان حتى يخصي ابنه المراهق!! هو لا يملك ثمن تزوجيه وإعالته والعائلة المكون لها عند زواجه بعدما يكبر، وحتى لو امتلك، وهذا من أحلام المستحيل، الابن مولودٌ مُعاقٌ، لا يوجد له علاج، لن يستطيع العمل والصرف على نفسه كرجل أو على زوجة إذا مات أبوه، ولا أحد سيرعاه بعد موت أبيه خوفًا على العِرض من الغريزة الذكورية، وأمه ميتة منذ سنين، وهو يحتاج مَن يكون دائمًا معه، ربما ترضى إحداهن أو يرضى أحدهم، من أولاد الحلال، بعد موته، بالاعتناء به، وقد يُسكنه معه ببيته، لكي لا يغفل عنه ويبقى معه طول الوقت، بمَن فيه من نساء، إذا تأكد من إنعدام الشهوة به، ولم يتمكن الرجل من رد الأموال مجددًا، الابن مات أثناء الإخصاء، والرجل تدهورت حاله، قيل لقد دخن سجائر الجنون، صار متمسكًا بالحياة وباغضًا لها في آنٍ واحد، يمدح في الحياة السالبة منه ابنه والراحمة له من هذه الدنيا تارة، ويسب لها الدين تارة على هذا القدر الحائكة له، القدر محرضه على قتل ابنه بشناعة، وعليه، غدا لا يريد ترك الحياة الهاوي والماقت لها، متوجس من لقاء ابنه، لا يبغي علل ستصيبه، حتمًا، حتى لو كانوا في الحياة الأخرى الخالية من الأدواء، من نظراته اللوامة، واستغل الشرطي، المستلف منه الرجل، جنونه، اعتبرها نقطة قوة له، فقرر

الذهاب للرجل مع شرطي آخر ليهدداه بسلاحيهما برد المال، وليس فقط المال المديون به، بل ومضاعفات له، لتأخره في رده، هذا المعتاد في هذه المنطقة، ألم أقل سكانها بهم قسوة، وما يخلق الغلظة في النفوس غير الفقر والقمع، النفس البشرية غريبة، تقيدها مفاهيم الدين دون جوهره، والسلطة، والمجتمع، والحياة، لتقبل بالفقر والهوان، ولا تُظهر سخطها لهذا، حتى تُخبل، كي لا تكون كافرةً أو عاصيةً أو خائنةً، كي لا تُقتل أو تُصلب أو تُزج في السجون والمعتقلات، بل تقبل به مبتسمة، تدعي الرضا بدواخلها، وفي حقيقة الأمر ما يُخلق بباطنها الجفاء، الغادي في أعين الكل رحمة، فالكل قساة، والكل فقراء، والكل مكبوتين، نحن نعيش في قسوة نغلفها بأعيننا بمظهر الرحمة، كامرأة في قميص نومها، تظهر مرتدية ملبسًا، لكنه شفاف، في الواقع كل جسدها ظاهر أمام أعين الرجل الراكب لها، لكنها لا تزال مرتدية ثيابًا في أعينه، وهو ينتظر لحظة يمزق فيها هذا الثوب المخادع على جسدها، حتى تصير عارية تمامًا بلا أقاويل وتأويلات أمامه، حتى لا يفصل بين جسده وجسدها أي حواجز كاذبة...

اقتحم الشرطيان المبنى، وبان الصغير داخله، مظهره سطلهما، سلبهما مما كانا على وشك فعله، لا يفهمان المعجزة المرئية الآن، معجزة تتأرجح ما بين الذكورة والأنوثة، دون مقدمات، نظرا لبعضهما البعض، همسا بكلمات غير مسموعة، ثم دفعاه إلى ركنٍ

مظلم في مدخل المبنى، قبض عليه أحدهما بقوة، وخلال صراخه، بصوت لا يمكن التمييز إذا كان صوت ولد أم بنت، كان الآخر يقطع ثيابه كلها...!!

كانت المفاجأة لهما مذهلة، الصغير ذكر وأنثى، في حينٍ واحد!!

لقد وجدا خصيتين ناميتين، وقضيبًا صغيرًا مثابر في الكبر، وغشاء بكارة رقيق يُغلف مهبلاً مثيرًا!!

لقد كان الصغير أو الصغيرة، لا يمكن تحديد أيهما مواءم معه، بالنسبة لهما محورًا جامعًا للذة كليهما، فأحدهما شاذٌ مشتهاه الرجال وقضبانهم تدخل فيه، ذاك مسلف الرجل المال من أجل عملية خصاء ابنه، والآخر يروم للغطس داخل المهبل والدماء ترحب به راقصة، تأججت شهوتهما، فألقيا بالصغير، وركعا على الأرض، لعابهما أخذ يغوص في جِراح الصغير المتولدة إثر اغتصابهما له، الشاذ يمص خصيتيه كما لو كانا ياقوتتين من عمق بحار عالم آخر، والثاني يدخل قضيبه المنتصب في الفرج الأنثوي، والصغير يصرخ ويبكي، الصراخ يعلو ويعلو، فترك الشاذ قضيب الصغير برهة لينقض على حنجرته، وبين أسنانه افترس رقبته حتى تدفق منها الدم، واستحال صراخ الصغير بلا صوت، والدموع إنهمرت من عينيه حتى نضبتا، ولكن بعد هينهات قليلة، سمعا صياح سكان المنطقة، خافا من احتمالية مشاهدة أحد لهما، تركا الصغير على الأرض يبكي بشدة بلا دموع وينادي بصرخات ليس لها صوت

مسموع، ظل الصغير يبكي، لكنه، وهما يهربان من المبنى، امتزج صراخه ضائع الصوت وبكاؤه جاف الدموع بضحكات غامضة، ضحكات منتقم، لا تليق بطفل برئ، أو طفلة بريئة، وكل شئ أتضح عند خروجهما من مدخل المبنى...

اندفع الشرطيان خارجين، فإذا بهما يبصران هالة شديدة الإشعاع، برتقالية تميل إلى الإحمرار، تبعث ضياءها من السماء، نظرا للسماء، كان هناك ما هو أشبه بتجمع عظيم لعدد مهول من النجوم، تجمعت على هيئة الصغير عاريًا في السماء في وضح النهار، أشبه بإلهٍ عارٍ!!

فزع الشرطيان، كانا واثقين بعلاقة ما يحدث هذا بفعلتهما، لكنهما لم يفطنا هل أحد من السكان وعى بذلك أم لا، لم يتعجلا في الاستنتاج، وفي ظل ذعرهما، قررا سؤال أي نفر منهم...

- ابن الكلب يبدو من الجن حقًا...

ردت إحداهن عليهما بهذه الإجابة نادبةً، فهما سذاجة الفقراء في هذه المنطقة، المساكين يؤمنون بالخرافات، وهل لأمثالهم ملجأ غيرها؟! الشمس في عنان السماء انفلقت ثلاثًا، واحدة ابتعدت عن المنطقة في سرعة رهيبة، لتكمل دورة اليوم الطبيعية في كل المناطق خَلاها، وواحدة ربضت عند مهبله، والأخيرة جثمت عند عضوه الذكري، وارتفع الصغير الحقيقي إلى السماء، كما ارتفع المسيح إلى السماء بعد قيامه من القبر، أمام أعين الجميع،

ليتمركز في هيئته المخلوقة من نجوم في السماء بين الشمسين، الهول تمكن من السكان، لا أحد يملك مفرًا من الجن وجبروتهم، أما الشرطيين فهربا إلى سيارتهما، قلقا من الفرار، فقد يحدث ما لا يسرهما، فما هما فيه العجاب العجيب، وقد يثبت هروبهما في أوان كهذا تهمة ضدهما، وفي نفس الحين، لا يمكن القرب من الصغير القابع فوق سماء المنطقة، بالتحديد فوق المبنى المغتصبين إياه فيه، لذا اعتزما البقاء على مسافة حيادية، عند سيارتهما الساحقتين الشجيرات والقاذورات، مع طلب قوات لحمايتهما إذا جد جديد، فيخبرون بحدوث أمور مدهشة في هذه المنطقة، لكنهما انتظرا على ذلك عل كل هذا ينتهي دونه، شرعا يحاولان التمازح والتضاحك مفزوعين لاستعادة هدوء أعصابهما...

تتعاقب الساعات، من المفترض حلول الليل، لكنه لم يقرب هذه المنطقة وما بجانبها من مكب النفايات والشجيرات، أمسى بهدوء في كل ما يحيط بذلك النطاق، أما هذا، بقى نهارًا قائظًا تشعله شمسان، طلبا القوات، فإلى متى سينتظران؟؟ مر ما يزيد عن الثلاثين ساعة، والنهار لا ينقشع، وصخب عويل أهل المنطقة لا يكف...

- أين أنت الآن أيها الشاذ؟ ألا ترغب أموالك ومضاعفاتها؟ أين أنت يا ابن المركوب؟ أين أنت وصديقك المغتصبين يا أولاد القحبة؟

كيف درى هذا المعتوه بمجيئ الشاذ مع صديقه لأخذ أمواله؟؟ وكيف عرف بمطالبته مضاعفات في المال؟؟ وكيف نبأ بالاغتصاب؟؟ كيف علم أصلاً بمثليته؟؟ لم يأمن الشاذ أحدًا على سر مثليته سوى صديقه، كلمات المعتوه ممزوجة بضجيج السكان المهرولين المرعوبين هام يهتف بها، من أعالي جبال صوته، في المنطقة، بدا إرسال الهالة في السماء شعاعًا همس له بكل شئ، وهو لم يرتاع، رغم التفاف الرهبة حول المكان كله، من السماء، متجسدة في الصغير، ومن الأرض، متمثلة في الشرطيين والقوات القادمة عما قريب، يتضح كون الجنون المغتال الوحيد للخوف، المجانين لا يخافون، المجانين شجعان، المجانين شرفاء، فمَن يخاف يفعل كل ما هو دنئ لتجنب عفريته، لذلك صرخ المجنون بلا وجل من أي شئ، المهم الآن سقياه البكم للأبد، رفض الشاذ تولي هذه المهمة، ليس لشئ غير حفظ المجنون وجهه، فربما يصرخ فيتجمع الناس حوله، والناس تجمعهم ثورة حتى لو كانوا مرتعدين، والثورة تُخشى، وهو شاذ جبان على أية حال حتى لو كان شرطيًا، وإلا لماذا يخفي مثليته عن الكل إلا صديقه؟! لكن المجنون لا يعرف شكل الشرطي الآخر...

اقترب الشرطي الآخر من المنطقة، أمسك بسلاحه، أطلق رصاصة أصابت عضو المجنون الذكري، مات برصاصة في عضوه، كما مات ابنه الصغير خلال خصاء عضوه، انفجرت الدماء، سقط

المجنون ميتًا وهناك بسمة محتزنة محفورة على أراضي وجهه، مات صامتًا بلا صراخ، لم يعرف أحد من السكان مَن مُطلق الرصاصة، وهذا زاد من صراخهم أكثر، فالخرافات في أذهانهم تتعاظم هكذا، الجهل يبث الروح في الخرافة فيجعلها سلطانًا، سعى الشرطي إلى صديقه الشاذ، لكن وهو يجري رأى ضوءًا برتقاليًا يميل إلى الإحمرار شديد ينبعث من صدره، بدأ يشعر بحرارة عارمة تأكل فيه، والضياء تتشعشع من صدره إلى كل جسده، أخذ يصرخ فلا صوت لصراخه، يبكي فلا دموع، وكأن عينيه تصحرتا، لم يمر وقت طويل حتى صرخ الصرخة الأخيرة، لا صوت لها كذلك كباقي صراخاته، وبعدها تحول لنجم في الأرض كتلك النجوم المتجمعة على هيئة الصغير في السماء، لكن سرعان ما ارتفع من الأرض. الجميع، بمَن فيهم الشاذ، شاهدوا نجمًا يرتفع، من الأرض، إلى السماء، حيث هيئة الصغير الضخمة، ليزداد التجمع نجمًا...

لم يفهم الشاذ لمَ تأخر صديقه كل هذا، كذلك لم يفهم ما هذا النجم الصاعد إلى السماء، كان قد سمع دوي طلقة سلاح صديقه، وسمع جلجلة صرخات السكان، أيعقل عرفوا مَن القاتل وأمسكوا به؟؟ ربما يقتلونه، وربما يعترف صديقه بما وقع، ويتقدم الناس نحوه ليمسكوا به هو أيضًا، ويقتلوه، قبل وصول القوات، عليه الهروب، ليحدث ما يحدث لصديقه، وليحدث ما يحدث إذا ابتعد عن

هذه الهيئة في السماء، عذاب غيظ الناس أشد وأنكى من عذاب هيئة كهذه، أشد وأنكى من عذاب آلهة جبارة...

دخل سيارته، وقبل التحرك مترًا واحدًا، كانت القوات قد وصلت، قرر الانتظار قليلاً، وفي حالة من الذهول مما يرون، ومن هذا النهار في المنطقة، يحاوطه ليل في سائر المناطق، استحالت جميع القوات نجومًا كذلك الشرطي المتحول إلى نجم!! صعدت النجوم جميعها إلى السماء، إلى هيئة الصغير، ارتعب الشاذ، ود الهروب بسيارته، لكنه وجد نفسه يرتفع نافذًا من سقفها، وكأن سقفها عدم، أو كأنه هو نفسه شبح، ارتفع حتى علق بين السماء وبين الأرض، لا يملك على نفسه حكمًا، جاهد للصراخ فلا صوت لصراخه، حتى بكائه بلا دموع، وكأن عينيه بحر جف منذ آلاف السنين، تحرك جسده بلا إرادة منه نحو المنطقة، إلى فوق المبنى الناشب فيه كل شئ، وجد جسده يتكور، رأسه لا تزال ثابتة في مكانها لا تتكور مع باقي جسده، صراخه يزداد كتألمه، لكن بلا صوت، ظل هكذا حتى أصبح على هيئة عضوٍ ذكري هائل، ورأسه كانت خارج التكور، فصارت كقضيب، لا يستطيع الحراك، وجد نفسه يقع على الأرض، والناس فجأة هدأوا رغم ما يحصل من عجائب، وجدوا أخيرًا ما يحررون به أَسر المشاعر في نفوسهم، من قهر وفقر وخوف، لا أحد منهم يعلم لماذا فعل ما فعله، كل ما وعوه إمساك كل منهم بحجر أو شئ ينفع، ليضربوا العضو الذكري الضخم

-الشاذ-، ضربوه بكل ما أوتوا من قسوة في نفوسهم كابدوها وكبحوها، يحاول الشاذ الصراخ، لكنه لا يستطيع، ولن يفيد عمومًا، ظل هكذا حتى مات والدماء تنبع من كل جزءٍ فيه...

في السماء، خفتت الهالة، وجثة الشاذ على هيئة عضوٍ ذكري ترتفع مرة أخرى إلى السماء، لكن هذه المرة إلى هيئة الصغير، ثم تلاشى كل شئ، الصغير وتجمع النجوم والشمسان وجثة الشاذ، وكأن العدم أزالهم من الوجود، والناس مكثوا لا يفهمون شيئًا، تظهر حاجتهم إلى شرطيين آخرين أو صغير آخر جامعٍ لجنسين حتى يدركوا، أو ربما لن يدركوا أبدًا، لا أحد يعلم...

احتضن الليل المنطقة والشجيرات ومكب النفايات...

# حرف جديد

كعالم لسانيات، وجدت، بعد بحث واستقصاء، اقتصار شتى اللغات، عبر الدهور، على عدد من الأصوات الصادرة من الحنجرة، لكني لم أدري إذا كان الإنسان البدائي ذا حنجرة تستطيع إبداع أصوات أكثر أم لا، هل تطور مع سير الزمن لتكون حنجرته محصورة على تلك الأصوات فارضتها اللغات المبتكر إياها، أم هو خُلِق سجينًا لأصوات معدودة تعلمها بأي طريقة كانت -سواء عن طريق أصوات الحيوانات المتواجدة عند ظهور الإنسان على الأرض، أو عن طريق الله معلم الإنسان الأول -آدم- الأسماء كلها، هذه حروب فكرية لا تهمني، فليخضها غيري ضد بعضهم، فأنا غير آبه لمعرفة أمر وقع في الماضي السحيق، لن يفيدني في الحاضر أو المستقبل-؟؟

حتى أعلم الإجابة عليَّ إبداع حرف جديد، حرف لا يتشابه صوته مع أي صوت من أصوات الحروف الموجودة في اللغات كلها، هذا الحرف سيكون حرفًا للإنسانية، حرفًا للحرية، حرفًا للحياة، حرفًا يتخلل كل اللغات بعد اختراعه، اعتقد هذا الحرف قد يوحد شعوب العالم، ربما إذا اشترك شعوب العالم جميعهم في شئ واحد، حتى لو حرف واحد، يظهر في بعض كلماتهم المستحدثة فيما بعد، ربما تنتهي المآسي فاعليها ضد بعضهم، ربما يدكون جبال السلطات

المفرقة بينهم، قاتلة الإنسانية بدم بارد، ربما يعيشون أناسًا حقًّا، وربما يصبح هذا الحرف الجديد المحارب المقدام للقمع الإلهي والسلطوي آسرنا في أصوات محدودة، وربما يدرك العديد قوة العقل البشري مبدع حرف وصوت جديد من العدم، فلا يعتقلونه في سجون الدين والثوابت، بل يحررونه لينفجر ببدائع ربما تصل به لدين صحيح وحقيقي، ربما، ربما...

تخلف الأيام أيامًا...

كل ما توصلت له حتى الآن استحالة تمكني من خلق صوتٍ من العدم، الخلق من العدم محتكرٌ للآلهة وحسب، كل إلهٍ، في كل دين، ينتشي بالقوة والجبروت على مخلوقاته الإنسانية إذا ما سلب منهم قدرتهم على الخلق من العدم، نعم سلبها، هذه القدرة لدى الروح الإنسانية لكنها منتزعة، أليس الإنسان به من روح الله؟!! وروح الله يمكنها الخلق من العدم، إذن الإنسان يمكنه كذلك، لكنه منهوب منه هذا الحق، ألم يحمل المسيح، في ناسوته، وهو الكلمة المتجسدة في شكلنا البشري، لاهوته الخالق؟!! ألم ينفخ المسيح في هيئة الطير الطينية، فصارت طيرًا حيًّا، ألم يحي الموتى، أليست هذه أرواحًا أعادها من العدم؟!! حتى لو كان بإذن ربه -كما يقول البعض- ، لكنه يظل بوسعه القيام بذلك كبشري، إذن فالإنسان لديه القدرة على الخلق من العدم، لكن يسطو الله عليها، حتى لا يتساوى الخلق مع خالقه، يستحوذ الإله دائمًا على كل ما يجعله أعتى...

أظن وجدتها، إذا كان محالاً خلق صوتٍ من العدم، إذن فلأجعل الحرف الجديد خليطًا من أصوات عدة مخلوقة فعلاً، ساصطفي أصواتًا لم يقدر الإنسان على محاكاتها مسبقًا، أصواتًا أطلق عليها أسامي من لغاته المحصورة في أصوات معينة لضعفه عن تقليدها، لاستسلامه، وساختار صوت أكثر شئ منبسط حولنا لأثبت للجميع عرقلة أسر العقل لرؤيتهم للإبداع، سجن العقل هو الهوان، ساختار أصوات الماء، مزيجًا من الأصوات المختلفة للبحر، أوده مزيجًا من الهَادِّ والقصيف والصفق والإعتلاج، مزيجًا متناقضًا غريبًا كمزيج المشاعر الإنسانية، فهذا الحرف سيعبر عن الإنسان في كل أعماقه وأبعاده...

البحر مُرادي ومقصدي...

إذا أردت محاكاة مزيج تلك الأصوات البحرية، فعليَّ معايشة البحر لأطول فترة حتى أتمكن من ذلك، لهذا ذهبت إلى شاطئ نائي، وحيد، لن يكون فيه غيري أنا وقلمي والبحر والرمال وأوراق، لأسجل عليها ملاحظاتي وحكايتي، مع بعض الزاد والماء...

وصلت فجرًا، الأمواج طائر يحلق عاليًا، ثم يعود لعشه بعد ارتطام بالشاطئ يساوي رماله، هذا المزيج البديع بين صوت العباب والإصطفاق، أروم لعذوبة ساحرة، كهذا الصوت، لنطق حرفي الجديد...

تخلف الأيام أيامًا...

البحر طفلة بريئة، لاحظت هدوءها خلال نومها نهارًا، انتبه وقتها جيدًا لصوت الهَادِّ، والطيور غير عالية كفاية لتخرج صوتًا بينًا عند تصادمها بالشاطئ، أما الرياح فهي الأم الحنون، تمرر يديها على وجه الطفلة المستكينة بكل حب، لتعزف مقطوعة الصفق جميلة، أما في المساء، فهناك اختلاف، القمر يوقظ الطفلة، فتملأ الدنيا هيصة ولعبًا، وتضحك بالقصيف مرحًا، وتجيئني الطيور، سامقة، مدًّا وترجع جزرًا، متلاطمة بالشاطئ، لتنظم فوضى الرمال، صادحة بالإعتلاج...

تخلف الأيام أيامًا...

توصلت أخيرًا لطريقة لمطابقة كل صوت من هذه الأصوات وحده، أتعامل مع كل صوت كلحن منفرد، وأكون كصدى صوت لهذا اللحن، أحاول ترديد اللحن بأصوات متناغمة ومتماثلة لأقصى مدى، بت بارعًا في خلق كل صوت منها وحده بحنجرتي دون تغريد البحر أمامي به، لكني حتى الآن لم أجد طريقة بها أجمعهم في صوت واحد، صوت اختزل منه حرفي...

القمر أتى حاملاً الليل بين كفيه، والنوم العميق...

نمت مغتبطًا رغم عدم اكتمال تحقيق أمنيتي، لكن خطوات سأسير بها على درب تحقيقه لاحت لي، بعد تيه تلاشى حينه أي طريق يُمشى فيه، لكن تبدو عدم رغبة الله في بلوغي طريق أحرر به الإنسان من أبسط أَحْصِرَته، مشيئته بقائه حبيسها، مخاوف الآلهة تكمن في إدراك الإنسان للحرية الكاملة، كل إلهٍ يدعي وهب الحرية لعباده المخلصين، بينما هو يقيدهم بقبضته الهائلة، أليس، من الأساس، قصر الحرية على الأوفياء لإله محدد في حد ذاته قمع؟!! أي تجب عليك العبودية، وإلا لن تُمنح الحرية من الإله، وستغدو عبدًا، في النهاية، على كل حال!! أثناء نومي ذاك اليوم، وفي الأيام التالية له، أبصرت حلمًا مذعرًا، يلهي تفكيري أثناء يقظتي عن إبداع الحرف، وهذا مبتغى الله، لقد أوضحه لي، بكل غلظة، في الحلم، لكني لم أنفذ أوامر تلك الأصوات الموحى لي بها في الحلم، الأوامر للعبيد، أما أنا فمبدع، والمبدعون الحقيقيون ليسوا عبيدًا خنوعين، هذه الأصوات كانت تأمرني إبان الحلم بالكف عن بحثي عن صوتٍ جديد، عن إنسانيةٍ فعلية، عن حريةٍ تامة...

وآض الحلم واقعًا...

هاجت الطفلة في الليل، لكن ليس مرحًا، ربما غضبًا، وربما روعًا، من الله، من استمراري في ابتكار حرفي الجديد، من الأصوات الصائحة منذرتي، الآن في اليقظة، وليس في الحلم هذه المرة، من الاستمرار في بحثي، وتتوعدني بكون عدم خضوعي سيذيقني من

العذاب أطعُمًا، أمسك الورق، أدون سريعًا نهاية قصتي المقروءة بين أيديكم، وقد دونت كل سوابقها، كي لا أُنسى، فالنسيان هو الموت الحقيقي، الاندثار من الخلود، وأيضًا لاحتمالية وجود أحد يكمل من بعدي رحلتي، قد يصمد من بعدي أكثر أمام القمع الإلهي، الأصوات ترتفع، تزجرني لأتوقف، تصخب الطفلة الثائرة بالكوس خوفًا، تخال ثورتها خوفًا ضدي ستجنبها مخاطر الله، وتتجلجل غطغطة أشباه أمواج مضطربة خانعة، ليست كالأمواج المعهودة لي طيرًا حرًّا، تروم للهروب لا للمواجهة الباسلة، ليست زرقاء صافية، بل سوداء حالكة، هتفت بأعلى صوتي، آخر كلمات سأقولها:

- لن ارتدع، حتى لو مُت، حتى لو قتلتني يا ألله، لن ارتدع، الإنسانية للإنسان، الحرية للإنسان، صوت جديد للإنسان، حرف جديد للإنسان...

تجلى غضب الله من رفضي وحريتي دافعتي للتكابر على الرضوخ، فلقد أباح ويسر لأشباه الأمواج الهروب كما ترجو، فها هي ترتفع وترتفع، مقابل ابتلاعي داخلها، ها هي لا تصطدم بالشاطئ، بل تنطلق بعيدًا، وتدنو مني، حتى توفي بعهدها، وتتحرر، هذه آخر كلمات سأكتبها، سأرمي هذه الأوراق بعيدًا قدر المستطاع حتى لا تدمرها قاتلتي بأمر من الله...

# ليلة الدُخلة

أنا لست الأولى، هي تلك القصة السخيفة التقليدية للعديد من البنات القرويات، القصة المنخرطة بها عشرات بل مئات البنات غيري في قريتنا أو في أي من القرى الأخرى، بنت، ربما أتمت تعليمها، مثلي، أو لم يتركها أهلها تكمل تعليمها، أو لم تتعلم من الأصل، يجبرها أهلها على الزواج من رجل يكبرها بسنين وسنين، تلك الحكاية المكتوبة في مئات الروايات، ومُثِلت في الكثير من الأفلام والمسلسلات، لكن في قصتي، الرجل المجبرة على الزواج منه ليس غنيًا، كما هو المعتاد، ولا يوجد فيه أي مغرٍ يجعل أهلي يُكرهونني عليه هكذا، عاندتهم فترةً، لكن بلا أثر، فكرت في الهروب، كالبطلة في تلك الأفلام والروايات، لكن تبلور الواقع أمامي أقسى، الواقع الريفي ملئ بالتقاليد المتزمتة، المحمولة على كهول متحجري العقل والفكر، منهم أهلي، أنا متعلمة أعيش وسط جهلاء، أليس التشدد جهلاً؟!! قد يقتلونني، فالتشدد يدفع المرء لأي شئ، حتى لو قتل ابنته، لذلك لم أثابر على العناد، استسلمت، ربما هذا الأكبر مني ليس سيئًا لهذا المدى الموجود في الخيالات الإبداعية، قد أحبه عندما أتعايش معه، على أي حال الحب وتقارب

السن بين الزوجين وما إلى ذلك مجرد أفكار نتوارثها نحن الفتيات جيلاً بعد جيل، رغم سخرية الجيل الأسبق كثيرًا من تلك السخافات أمام الجيل التالي له، وغالبًا الساخرات ممَن أُغصبن على الزواج من رجل لا يعرفنه، منهن مَن لا تحبنه في بدء الزواج وحسب، وتبقى منهن مَن لا تحبه للنهاية، لكن بالرغم من ذلك لا تزال الفكرة تُورث، وكأنها متجذرة في وجدان الأنثى لا تتزعزع...

الزفاف الليلة...

أمي تزينني، وأنا مرتدية فستان الزفاف، الظاهر رافضًا هو الآخر ما يحدث من عبث ومهازل، في دارنا الجاف غير المروي بغيث سعادة من المفترض انهمارها عليه حتى لو لست راضية عن الزيجة، أمي، المحاولة خلق بهجة زائفة، وسرعان ما كفت عن ذلك عندما تحادثنا، فقط مَن تحليني، على عكس أفراح قريتنا الممتلئة الديار إبانها ببنات العائلة وصديقات العروس جميعهن يجهزنها، لا أفهم لماذا، لكن يبدو هذا من طلبات العريس، فأمي لم تفسر هذا لي، ولم تجبني عندما سألتها، فطلبات العريس بالنسبة لأهلي كلام مقدس من المُحرم سؤالي عنه أو تفسيره، تضع لي أمي مستحضرات التجميل حتى يُعجب بي رجل لم يرني قط، حاولت الابتسام، فلم أقدر، لا يوجد دافعٌ عندي له، تضربني أمي في كتفي ضربة آلمتني قائلةً:

- يا حمقاء، إنه خير الرجال، لماذا لا تبتسمين؟! مئات البنات يتمنين مكانك الآن، هو سيسترك، ويجعل لك أسرةً وبيتًا، البنت تعليمها أهميته لبيتها فقط، وإلا لماذا علمناكِ؟!! انتهيتِ من تعليمك إذن عليك الزواج، خيبة لو تفكرين بالعمل وما إلى ذلك مثل بنات المدن السافرات، ليتني استمعت إلى كلام أبيك عندما رفض ذهابك للجامعة مع أخيك، أنا المخطئة، أنا مَن أصررت على ذلك حتى تكوني أمًّا وزوجةً فضلى، في النهاية لا تبتسمين ولا تريدين الزواج من أجل العمل كالحقيرات...
- أنا لم أقل لا أريده من أجل العمل، رغم حقي في هذا، لكني لا أريده لعدم معرفتي به، لا أحبه، وكيف أحب مَن لا أعرف؟!! وفي نهاية الأمر أنا وافقت قهرًا، إذن لا تجبريني أيضًا على الابتسام...

يعلو صوت أمي:

- قهرًا؟!! وحقك؟!! وحب؟!! التعليم أفسدك حقًّا، عليكِ الابتسام حتى يحبك ويُسر بك، فهو كذلك لا يعرفك، لكنه رجل محترم، ليس مثلك يا متعلمة، بيشاء العفة...
- عفة في هذا السن؟!! أين كانت في شبابه، هل تذكرها الآن عند الكهولة، ويطمع في تحقيقها مع شابة صغيرة مثلي؟!!

هذه المرة ترفع صوتها أكثر وهي تنادي أبي:

- تعال، شاهد ابنتك لا ترغب في الابتسام لعريسها، تفكر في سخافات الحقوق والعمل والسن والحب، أنا آسفة لك، كنتَ محقًّا، وجب عدم إكمال تعليمها...

اندفع نحونا أبي منفعلاً، وبدى استماعه لكلامنا منذ بدايته، ينظر لي عن قرب والحنق يُغرق عينيه:

- أقسم بالله العلي العظيم أدفنكِ حيةً إذا ظللت تتفوهين بتلك الأحاديث التافهة ولم تبتسمي...

دون نقاش هززت رأسي موافقة، الدفن بعد الموت مروع، فما بالي بالدفن حيةً؟!! نحتُ بتعسر بسمة مزيفة، مخادعة، كاذبة، كتلك الزيجة كلها، على وجهي، انتهت أمي من تزييني وهي تكد لتزيل آثار الكمد المتسببةُ لها بها بأحاديثي المصنفة، بالنسبة لها، جنونًا، وشبك أبي ذراعه بذراعي، وهو كذلك يجد لمحوها، ليوصلني إلى العريس في الزفاف، وأمي مزغردة تمطرني بالملح من خلفي، وتنتظر الوصول للزفاف حتى تُمطر العريس به أيضًا، العادة إمطار كلانا به معًا، لكن أمي قررت القيام بهذا مع كل منا وحده أولاً، ثم مجددًا ونحن معًا، حتى تأمن من أي مكروه أو حسد، يا لخبل هذه العادات!!

انقضى الزفاف المقام في شارع دارنا، كان الهواء قارس البرودة أثنائه، ورغم ثِقل الفستان، جسدي بلغه الصقيع، دأبت لإخفاء ذلك، لكن لاحظ العريس، ربما من ارتعاش أطرافي وشفتاي، فلم استطع التحكم فيهم، هو سمين مترهل، به تجاعيد ما بعد منتصف الكهولة البسيطة، شعره معظمه أسود، رغم استوطان اللونين الأبيض والرمادي بعض بقاعه القليلة، عينيه مريبتان، ساكتتان لا تتحدثان، تجاهدان للابتسام، لكن تفشلان، مماثلة لعيني صنم، أما وجهه فنجح فيما فشلت فيه عينيه، عليه ابتسامة دميمة مقززة، أزعجتني للغاية، لكن بقيت كعينيه، المنزعجتين منه ومن بشاعة ابتسامته، صامتة، ليس عليَّ مظاهر فرح بنت تُزف، مجرد بسمة زائفة على وجهي، همس لي ضاحكًا بسماجة بعد ملاحظته:

- لا تخافي يا حلوة، لن يدوم بردك طويلاً، سأذيقك لهيبًا سيدفئك...

يا لخَطَل جمله وإيحاءاته!! لم التفت حتى له، رجل شهواني، لم يكترث وأنا هكذا سوى بإبراز الجنس في ليلة الدُخلة، مبينًا اهتمامه هكذا لشأني، ولكن للحق، الأمر الوحيد المتحمسة له في هذه الليلة، بل في هذه الزيجة كلها، الجنس، لذلك لم أخبر أحدًا بتحسري على عدم نُبله اتجاهي، أنا لست متحمسة للجنس من أجل الشهوة والغريزة، أنا لست مثله، هو أرعن، أما أنا فلا، أنا فقط متلهفة له لأخوض، في الواقع، تلك الفكرة المؤمنة بها، الجنس ما

هو إلا جمع للشتات الإنساني المُفرق منذ انقسام الإنسان الأول، آدم المكمل، إلى آدم وحواء الناقصين، حين انبثقت حواء من ضلعه، أؤمن بكونه، قبل هذا، مزيجًا مما في الأنثى ومما في الرجل من صفات معنوية وجسمية مختلفة، ضامًّا العاطفة والقوة، إنسان شبه كامل، غير محدد الجنس، لا ذكر، ولا أنثى، كان إنسانًا وحسب، حتى عندما أخبر الله الملائكة بخلقه إنسان في البداية، لم يذكر جنسه، حتى حدث الانقسام، فبعدها انقسمت الصفات، والجنس السبيل الأوحد لجمع تشذر الإنسان، عن طريق الاتحاد بين جسدين مختلفين، بين قضيبٍ وفرج، لذلك تفجرت الشهوة في نفوس بني آدم وحواء، ووُجد الجنس الأقرب لافتراس الذكر الأنثى، محاولته ابتلاعها بدواخله، توحيدها مع جسده، إرجاعها لمكانها الأصلي المنفصلة عنه، لهذا أنا متحمسة لتذوق الجنس، لأتوحد مع ذكر، حتى لو هذا الأبله، لنغدو جنسًا إنسانيًا موحدًا مقاربًا للكمال...

ذهبنا إلى بيت الزوجية، بيت بسيط، لا يوجد فيه شئ مميز يجذب الانتباه، دخلنا غرفة النوم، في منتصفها سريرٌ كبير، من مظهره، متين، على كل جانب منه كومودينو، قِبالته تسريحة متوسطة الحجم كالمرآة المعتلية لها، وهناك دولاب يستند على الحائط المواجه لباب الغرفة، النجفة تتوسط السقف، إضاءتها

شديدة، جعلت ظِل كل هذا الأثاث ممتدًا بعيدًا عن السرير، تركها العريس ونحن نمارس الجنس ليترف بمشاهدة جسدي بوضوح...

كلٌ منا جهز نفسه، أنا في الحمام، وهو في الغرفة، ارتديتُ قميص نوم شفافًا إلى حدٍ ما، متلون بالأحمر والأسود، يتخللهما بياض جسدي ناصعًا، أما هو فلم يرتدي سوى سروال...

استلقيت على السرير مسلمةً نفسي له، بدون الخجل المنتاب أي عروس جديدة العهد بممارسة العلاقات الجنسية، هذا ما تعجبته في نفسي، أ للحماس تلك القدرة العجيبة في دثر أي شعور غيره؟!! ولكن أليست كل الفتيات متحمسات أيضًا للجنس في ليلة الدُخلة؟!! فيما يبدو حماس الحب الحقيقي لدى تلك الفتيات أضعف من حماس التجربة المتملك لي...

قُبلة طويلة، لذيذة، كل القُبلات الأولى شهية، حتى لو ممَن لا أحب ولا أعرف، بدأت بها علاقتنا الأولى، شفتاه تجاهدان للاختلاط بشفتيَّ، ثم انتقلتا إلى رقبتي، وهما يتذوقان جمالها كآدم وحواء وهما يلتهمان تفاحة الخلود والملائكة من الشجرة المحرمة، أنا جازمة بأفضلية وحلاوة تفاحة شجرتي عن تفاحة تلك الشجرة، أقسم لو درى آدم بها لندم على الخروج من الجنة بسبب تفاحة كهذه لا تستحق، أما تفاحتي فتستحق الطرد من آلاف الجنات، فهي أبهى نعيم، لقد انتقلت شفتاه إلى جذور الشجرة البضة، إلى أصل تلك التفاحة الأطيب على الإطلاق، اتخذتا من ثدييَّ مبدأ

رحلتهما للجذور، يداه في ظل رحلة شفتاه تلك تائهتين هائمتين في كل غورٍ تصلان إليه في جِناني، وأنا أغرد ككعيبة أمسك بها بلبلها، قميص النوم كان يعرقل اكتمال استمتاعه بي، فمزقه عليَّ بكل حِدة أوتيها، فصرت كاملة البياض تحته، لا يغطي أجزاء من البياض أي حَمار أو سواد، لكن لا أعلم لماذا اختفى منه نصوعه...عجيب هذا الرجل، لا يوجد رجل ريفي يتلذذ هكذا بالجنس، بل يعتبرونه واجبًا ممتعًا وحسب، علا تغريدي عندما عضَّ على حلمة من حلمتيَّ، ليُسقى حليب الجنة، وبعدها توغلت شفتاه في رحلتهما للجذور أكثر فأكثر، عيناي محدقتان إلى مكان القوة المتمكنة من توحيد كلانا في إنسان واحد لفترة وجيزة، عضوه، قضيبه، فقد قلقت، لا أحس بأي لفح من تجاهه، وزاد توجسي عندما نظرت له، لا يوجد أي مظهر خلف السروال دال على الانتصاب، إذن ما كل هذه الشهوة لديه؟!! حاولت إقناع نفسي بدلائل واهية بوهم خشيتي هذه، وتبرير، بغير منطقية، أسباب هذا، وعيني شاخصتان إلى عضوه...

خلال تفكيري، بُعثت حركة مريبة في الغرفة، حركة غير حركة العريس فوقي، وكأن ظلال أثاث الغرفة، عدا ظل السرير، تتحرك!! أكد ظنوني هذه، الأشبه بالهلاوس، إبصاري لها، شديدة السواد، كليلٍ بلا قمرٍ ولا نجوم، تتجمهر وتحتشد، ترتفع لأعلى السرير، تجثم فوق العريس كما يجثم فوقي، تركبه، فيما ظهر الظلال

ثقيلة، فقد شَعر بها تقريبًا، وأنا لم أخبره برؤيتي شئ قبل شعوره بها، وحتى بعده، فالذهول أخرسني، ولم أود نبت ظن عنده، كأهلي، بجنوني في مستهل حياتنا معًا، ولا أعلم هل أدرك ما كان فوقه أم لا، لكنه رفع رأسه من على جسدي، نظر خلفه بصرامة، إلى الأثاث، نظرة فاطن لما يجري تمامًا، الظلال فرَّت من فوق جسده، هرولت إلى مقراتها، إلى الخفاء بعيدًا عن السرير، خائرة لا تقوى على الاستمرار في تجمهرها...

تغاضيت عما حدث سريعًا، كأن لم يكن، كأنه بالفعل هلاوس، فأنا مهتمة أكثر بالإتحاد الإنساني الواقع عند التحام قضيب العريس بفرجي، لكن القلق واصل مرافقتي ورحلة جسده عليَّ تُتابع، فأنا لم أسلم في قرارة نفسي بتلك الدلائل والتبريرات الساذجة...

ملتاعةٌ أنا، لالتحام آدم بحواء، أروم للاستحالة إلى إنسان واحد، بلا انفصال، أود تذوق طعم الاقتراب من الكمال، لن أصبر لمزيد من الوقت، حواء يجب عليها أخذ أول خطوة حقيقية للاتحاد...

أحطت العريس بذراعيَّ في دلالٍ ساحر، تتسع ابتسامته البلهاء وهو لا يفقه ماذا أفعل، وخلعتُ عنه سرواله، لأجد مخاوفي حقًا، بل وأنكى منها...

قضيبه لم ينتصب بعد كل هذا الممارس في جسدي من إشعال لشهوة مزيفة!!

ارتعش جسدي، خاصةً بعدما طفق عضوه بالكامل في التبخر كدخانٍ والتطاير، كان سرابًا، من اضطرابي أخذت أحاول القبض على الدخان المتصاعد بيدي اليمنى، لكن بلا فائدة، الدخان تشكل أعلاه على هيئة عساكر صغار الحجم شنيعين، يضحكون ويقهقهون محدقين فيَّ، والعريس، الأكبر مني، غضب واغتاظ، وهبَّ يضرب في جسدي بكل حوله، ولا يزال يضرب فيه، منذ سنين وسنين، في نفس الغرفة، بلا توقف ولو لهنيهة واحدة، كل احتياجاته وشهواته باتت ضرب جسدي، كشيطان لا ينام ولا يستكين ليعذب البشر، وهرب وجداني من جسدي، ليردد صارخًا، في السماء، همسي الدائم أثناء ضربي بحكايتي، وكأني أعيشها مجددًا منذ شروعها، التارة بعد الأخرى، والضارب لا يسمعني، ولا أحد ينصتها، والكل نساني، حتى أهلي، ربما لرعبهم منه، أو لاعتقادهم بوجوب عدم التدخل فيما يفعله بي زوجي، ولو أذية ابنتهم، ولم يزوروا هذا المنزل إلا مرة واحدة، ثاني يوم زفافنا، وعندما امتنع عن الفتح لهم، ليكمل ضربي، لم يعاودوها، وظِلال الأثاث باقية مكانها لا تفعل شيئًا مرتاعة...

# الفهرس


الإهداء ..... 5
مسجد أسود اللون ..... 8
مسرحية تنتظر تحريرها ..... 19
نخلة ذهبية السعوف ..... 24
كالطير على الجدار ..... 29
رحلة سقوط ..... 33
وُلد في الجنة!! ..... 37
صلاة العرص ..... 43
الأطلال ..... 47
ساعة يد ..... 51
نجمة قريتنا المقدسة ..... 54
على ألحان شوبان ..... 62
الفرار ..... 69
الطريقة المُثلى لتصير قردًا ..... 73
يومٌ لم ينتهي ..... 80
حرف جديد ..... 91
ليلة الدُخلة ..... 97